حقيقة المنهجِ السلفيِّ

وحاجةُ الأمةِ الماسَّةُ إليه في نجاتِها

وانتصارِها على أعدائِها

راجعه و قدم له

معالي الشيخ العلامة الدكتور

صالح بن فوزان الفوزان حفظه الله

عضو هيئة كبار العلماء و اللجنة الدائمة للإفتاء بالمملكة العربية السعودية

وراجعه

فضيلة الشيخ العلامة الدكتور

ربيع بن هادي المدخلي حفظه الله

رئيس قسم السنة بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية سابقا

تأليف

عبد الله بن صلفيق القاسمي الظفيري

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء
هيئة كبار العلماء

الرقم : ....
التاريخ : ....
المشفوعات : ....
الموضوع : ....

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه

وبعد: فقد اطلعت على رسالة بعنوان: (حقيقة المنهج السلفي) للشيخ عبد الله بن صلفيق الظفيري وفقه الله فوجدتها رسالة قيمة مفيدة مبنية على أدلة صحيحة من الكتاب والسنة وأقوال الأئمة.

والحاجة ماسة إلى مثل هذه الرسالة في وقتنا الحاضر الذي خفي فيه منهج السلف على كثير من الناس بسبب الجهل وظهور من ينتسبون إليه وهم لا يعرفونه أو يفهمونه ولا يتبعونه. حتى صار السلفي محقوتا بسبب ذلك من غير فرق بين السلفي الحقيقي والسلفي المدعي. وقد جاءت هذه الرسالة المشار إليها موضحة لمنهج السلف الحقيقي. فجزى الله مؤلفها خير الجزاء ونفع بها

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه

كتبه

صالح بن فوزان الفوزان

عضو هيئة كبار العلماء

[توقيع]

٢٥/٢/١٤٣٤هـ

تقديم

معالي الشيخ الدكتور صالح بن فوزان الفوزان

عضو هيئة كبار العلماء

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه وبعد :

فقد اطلعت على رسالة بعنوان : (حقيقة المنهج السلفي) للشيخ عبدالله بن صلفيق الظفيري وفقه الله، فوجدتها رسالةً قَيِّمةً مفيدةً مبنيةً على أدلة صحيحة من الكتاب والسنة وأقوال الأئمة.

والحاجة ماسة إلى مثل هذه الرسالة في وقتنا الحاضر الذي خفي فيه منهج السلف على كثير من الناس بسبب الجهل وظهور من ينتسبون إليه وهم لا يفهمونه أو يفهمونه ولا يتبعونه. حتى صار السلفي ممقوتاً بسبب ذلك من غير فرق بين السلفي الحقيقي والسلفي المدعي. وقد جاءت هذه الرسالة المشار إليها موضحةً لمنهج السلف الحقيقي. فجزى الله مؤلفها خير الجزاء ونفع بها.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

كتبه

صالح بن فوزان الفوزان

عضو هيئة كبار العلماء

في ٥/٣/١٤٣٤هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله العزيز الحكيم، الرؤوف الرحيم، الذي من رحمته الواسعة وحكمته البالغة أنه لم يترك عباده هملا، بل أرسل إليهم رسلا، مبشرين ومنذرين، لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل، وتكفل الله لمن اتبعهم بالهدى والنجاة والفلاح، حيث قال عز وجل ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ﴾[طه: ١٢٨]. وقال ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[النحل: ٩٧] .

والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وبشيرا للمؤمنين، ونذيرا للمعاندين، أرسله الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، وتكفل الله بحفظ سبيله وبقائه واستمراره إلى قيام الساعة على يد طائفة اتخذت سبيل النبي صلى الله عليه وسلم نبراساً ومنهاجاً، وذلك لما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه والذي رواه البخاري حيث قال ((لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ))، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان، أعلام الهدى ومصابيح الدجى، الذين اختارهم الله لصحبة نبيه، والجهاد في سبيله، وحفظ ملته أما بعد :

فكما أن الله تعالى من تمام عدله وحكمته ورحمته أنه لم يترك عباده هملا، بل أرسل لهم الأنبياء والمرسلين، فلا يخلو منهم زمن من الأزمان، تحقيقاً لوعده الصدق وقوله الحق ﴿مَّنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾[الاسراء: ١٥] ، فكذلك فإن الله عز وجل عندما أراد كونا وشرعا أن يكون الإسلام هو خاتم الأديان، ليبقى حجة على الخلق، ورحمة للعباد، فإن الله تعالى -تحقيقاً لذلك- قضى -كوناً وشرعاً- ببقاء طائفة تقوم بدين الله، وتكون حجة لله على الخلق، شاهدة عليهم يوم القيامة، وتعمل على حفظ دينه، وتجاهد في سبيله حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك. وهم أهل السنة والجماعة أهل الحديث أصحاب المنهج السلفي. وهذه الطائفة هي التي أخبر عنها الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله ((لَا تَزَالُ عِصَابَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ قَاهِرِينَ لِعَدُوِّهِمْ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى تَأْتِيَهُمْ السَّاعَةُ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ)) رواه مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه.

ولأهمية هذا الموضوع في بيان وتجلية منهج هذه الطائفة، المنهج السلفي، ولبيان الحاجة الماسة له في نجاة الأمة وتمكينها ودفع الشرور والفتن عنها، خاصة في هذه الأزمان التي تكالبت عليها الفتن من كل حدب وصوب، أحببت أن أكتب عن هذا المنهج الرباني، مستعينا بالله عز وجل سائلا إياه الصواب والإخلاص في القول والعمل. وقد جاءت هذه الرسالة على مقدمة وأربعة فصول وخاتمة، على النحو التالي:

المقدمة : بينت فيها أهمية هذا الموضوع وما تشمله الرسالة من فصول.

الفصل الأول : نشأة المنهج السلفي وبيان أنه امتداد لسبيل الأنبياء والمرسلين، وأنه في حقيقته هو دين الرسول صلى الله عليه وسلم وما كان عليه الصحابة والتابعون وأتباعهم.

الفصل الثاني : مراحل المنهج السلفي. وتكلمت في ذلك على مرحلتين تعد من أهم مراحل المنهج السلفي، وهما : مرحلة تبيين وتوضيح قواعد الدين وأساسياته ومرحلة تدوين المنهج السلفي.

الفصل الثالث : استمداد المنهج السلفي ومصادر التلقي فيه، وما أثمر ذلك في المتمسكين به من ثمار عظيمة. ومن أهمها :

١- الوفاق والائتلاف.
٢- العقل والعلم والفهم والصدق.
٣- الاستمرار والبقاء. وفيه الرد على من يرى أن السلفية مرحلة زمنية عابرة.

وسأبين هذه الثمار، مستدلا عليها بما جاء من نصوص شرعية وآثار سلفية.

الفصل الرابع : خصائص المنهج السلفي.

الفصل الخامس : براءة المنهج السلفي من بعض مدعيه وهم ليسوا منه.

الخاتمة : وأخيراً ختمت هذه الرسالة بخاتمة بينت فيها الحق الواجب تجاه هذا المنهج السلفي.

فأسأل الله عز وجل أن ينصر دينه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وأن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح، وأن يثبتنا على السنة وما كان عليه سلف الأمة.

ولا يسعني بعد شكر الله عز وجل على إحسانه وتوفيقه إلا أن أتقدم بالشكر والعرفان لشيخيّ، معالي الشيخ العلامة الدكتور صالح بن فوزان الفوزان، والشيخ العلامة الدكتور ربيع بن هادي المدخلي، على مراجعتهم هذه الرسالة وإبداء الملاحظات عليها والتي استفدت منها كثيراً، وأخذتها بعين الاعتبار، ووضعتها في محلها. فجزاهم الله خيراً، وبارك الله في حياتهم، وجمعنا وإياهم في الفردوس الأعلى مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبه

عبدالله بن صلفيق القاسمي الظفيري

محافظة حفر الباطن

في الثالث من شهر الله المحرم لعام ألف وأربعمائة وثلاثة وثلاثين

من هجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الأول : نشأة المنهج السلفي

إن المنهج السلفي هو امتداد لسبيل الأنبياء والمرسلين عليهم السلام منذ أن أمر الله الجن والإنس بعبادته كما قال تعالى ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾[الملك: ٢]. فإن الله تعالى خلق آدم و زوجه، وأوجدهما في الجنة، وأوصاهما – اختبارا وابتلاء – بعدم الأكل من شجرة في الجنة، وحذرهما من طاعة الشيطان، ولكن الشيطان أزلهما، ودلاهما بغرور حتى أكلا منها، فكانت النتيجة أن أهبطا إلى الأرض. قال الله تعالى ﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ، فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ،وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ، فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ ۖ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[الاعراف:١٩-٢٢] ، فأقرا بذنبهما واستغفرا ربهما وتابا إليه فتاب الله تعالى عليهما وأهبطهما في الأرض ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ، قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ، قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾[الاعراف:٢٣-٢٥] .

ثم أوجد الله تعالى من صلبهما ذريتهما، وأخذ عليهم العهد وهم في ظهر أبيهم آدم وفي ظهور آبائهم أن يعبدوا الله وحده لا شريك له، وأنه خلقهم لذلك، وفطرهم عليه. قال الله تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَا ۛ أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ ، أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ، وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[الاعراف:١٧٢-١٧٤] .

روى الشيخان عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ((يُقَالُ لِلرَّجُلِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ مَا عَلَى الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ أَكُنْتَ مُفْتَدِيًا بِهِ قَالَ فَيَقُولُ نَعَمْ قَالَ فَيَقُولُ قَدْ أَرَدْتُ مِنْكَ أَهْوَنَ مِنْ ذَلِكَ قَدْ أَخَذْتُ عَلَيْكَ فِي ظَهْرِ آدَمَ أَنْ لَا تُشْرِكَ بِي شَيْئًا فَأَبَيْتَ

إِلَّا أَنْ تُشْرِكَ بِي))[1]. وقد ظل العباد على هذا الميثاق وعلى توحيد الله عشرة قرون حتى اجتالتهم الشياطين عن ذلك وحرفتهم عن التوحيد. روى مسلم في صحيحه عن عياض بن حمار رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((إِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ فَأَضَلَّتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ))[2].

وبعد هذا الميثاق الذي أخذه عليهم وهم في ظهر أبيهم ثم فطرهم وجبلهم على الإقرار به وخلقهم شاهدين به، أرسل الله الرسل عليهم السلام لعباده ليذكروهم بهذا الميثاق، وينذروهم ويبشروهم[3]. قال الله تعالى ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ ۚ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ ۚ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا، وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ، رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[النساء:١٦٣-١٦٥] .

وهكذا استمر إرسال الرسل عليهم السلام لأممهم، كلما جاء أمة رسولها كذبوه، حتى بعث الله سبحانه وتعالى محمدا صلى الله عليه وسلم، أرسله على حين فترة من الرسل، ودروس من الكتب، وطموس من السبل، وقد استوجب أهل الأرض أن ينزل بساحتهم العذاب، وقد نظر الجبار جل جلاله إليهم فمقتهم، عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب، وكانت الأمم إذ ذاك ما بين مشرك بالرحمن عابد للأوثان، وعابد للنيران، وعابد للصلبان، أو عابد للشمس والقمر والنجوم كافر بالله الحي القيوم، أو تائه في بيداء ضلالته حيران، قد استهواه الشيطان، وسد عليه طريق الهدى و الإيمان، فالمعروف عنده ما وافق إرادته ورضاه، والمنكر ما خالف هواه، وقد تخلى عنه الرحمن، وقارنه الخذلان، يسمع ويبصر بهواه، لا بمولاه، ويبطش ويمشي بنفسه وشيطانه، لا بالله، فباب الهدى دونه مسدود، وهو عن الوصول إلى معرفة ربه واتباع مرضاته مصدود، فأهل الأرض بين تائه حيران، وعبد للدنيا فهو عليها لهفان، ومنقاد للشيطان جاهل أو جاحد أو مشرك بالرحمن، فالأرض قد غشيتها ظلمة الكفر والجهل والعناد، وقد استولى عليها أئمة الكفر وعساكر الفساد[4]. فأنذر صلى الله عليه وسلم وبشر، وأبدى وأعاد في بيان حق الله على عبيده، وأنزل الله عليه القرآن الذي يوضح الله فيه أنه ما خلق الخلق إلا لتوحيده، حيث قال جل وعز

---

[1] رواه البخاري (ح/٣٣٣٤) ومسلم (ح/٢٨٠٥).

[2] مسلم (ح/٢٨٦٥)

[3] معارج القبول (١٠١/١-١١٨).

[4] الصواعق المرسلة (١٤٨/١-١٤٩).

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[الذاريات:٥٦] ، وأنه ما أرسل الرسل إلا لدعوة العباد لتحقيقه، فقال ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[النحل:٣٦] ، فسار عليه السلام حياته كلها في مكة و المدينة يدعو إلى توحيد الله وينذر قومه ويبعث السرايا والكتب ويرسل أصحابه للأمصار حتى أكمل الله به الدين وأتم به النعمة. وترك أمته على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعده إلا هالك. قال الله تعالى ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾[المائدة:٣].

روى البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب و السنة عن طارق بن شهاب قال : قال رجل من اليهود لعمر : يا أمير المؤمنين لو أن علينا نزلت هذه الآية ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾[المائدة:٣] لاتخذنا ذلك اليوم عيدا، فقال عمر : إني لأعلم أي يوم نزلت هذه الآية، نزلت يوم عرفة في يوم جمعة[١].

وروى أيضا في كتاب المناقب باب خاتم النبيين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ((إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍفَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعْجَبُونَ لَهُ وَيَقُولُونَ هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ قَالَ فَأَنَا اللَّبِنَةُ وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ))[٢].

قال الإمام اللالكائي رحمه الله تعالى : سياق ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في الحث على التمسك بالكتاب والسنة عن الصحابة والتابعين ومن بعدهم والخالفين لهم من علماء الأمة رضي الله عنهم أجمعين. ثم ساق بسنده إلى العرباض بن سارية أنه قال : ((وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَوْعِظَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ هَذِهِ لَمَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا قَالَ قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَالْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا فَعَلَيْكُمْ بِمَا عَرَفْتُمْ مِنْ سُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَعَلَيْكُمْ بِالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا فَإِنَّمَا الْمُؤْمِنُ كَالْجَمَلِ الْأَنِفِ حَيْثُمَا قِيدَ انْقَادَ)) وفي رواية : فأوصنا، قال ((أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا فَعَلَيْكُمْ

---

[١] رواه البخاري (ح/٧٢٦٨).
[٢] رواه البخاري (ح/٣٥٣٥).

بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ))[1].

يقول الإمام الشاطبي رحمه الله – بعد ذكر حديث العرباض بن سارية المتقدم – : وثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يمت حتى أتى ببيان جميع ما يحتاج إليه في أمر الدين والدنيا، وهذا لا مخالف عليه من أهل السنة، فإذا كان كذلك فالمبتدع إنما محصول قوله – بلسان حاله أو مقاله – أن الشريعة لم تتم، وأنه بقي منها أشياء يجب أو يستحب استدراكها، لأنه لو كان معتقدا لكمالها وتمامها من كل وجه لم يبتدع ولا استدرك عليها، وقائل هذا ضال عن الصراط المستقيم.

قال ابن الماجشون : سمعت مالكا يقول : من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمدا خان الرسالة، لأن الله يقول : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾[المائدة:٣] فما لم يكن يومئذ دينا فلا يكون اليوم دينا[2].

ثم بعد الرسول صلى الله عليه وسلم سار على طريقه خلفاؤه الراشدون وأصحابه المرضيون رضي الله عنهم كما قال عز وجل ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[يوسف:١٠٨] ، وتمسكوا بوصية نبيهم عليه السلام، وعضوا على كتاب الله بنواجذهم وجاهدوا في الله حق جهاده، وانتشروا في الأمصار، يعلمون الناس كتاب ربهم وسنة نبيهم، وكانوا كما قال عنهم صلى الله عليه وسلم ((خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ))[3].

يقول الإمام اللالكائي رحمه الله تعالى: فإن أوجب ما على المرء معرفة اعتقاد الدين وما كلف الله به عباده، من فهم توحيده وصفاته، والاستدلال عليها بالحجج والبراهين، وكان من أعظم مقول وأوضح حجة ومعقول، كتاب الله الحق المبين، ثم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته الأخيار المتقين ثم ما أجمع عليه السلف الصالحون، ثم التمسك بمجموعها، والمقام عليها إلى يوم الدين، ثم الإجتناب عن البدع، والاستماع إليها مما أحدثها المضلون. فهذه الوصايا الموروثة المتبوعة، والآثار المحفوظة المنقولة، وطرائق الحق المسلوكة، والدلايل اللايحة المشهورة، والحجج الباهرة المنصورة، التي عملت عليها الصحابة والتابعون

---

[1] شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٧٤/١). وهذا الحديث رواه أبو داود في السنة (ح/٤٦٠) وابن ماجه باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين (ح/٤٢) والترمذي في كتاب العلم باب الأخذ بالسنة واجتناب البدع (ح/٢٦٧٦).

[2] الاعتصام للشاطبي ص٣٧.

[3] رواه البخاري (ح/٣٦٥٠).

ومن بعدهم من خاصة الناس وعامتهم من المسلمين، واعتقدوها حجة فيما بينهم و بين الله رب العالمين، ثم من اقتدى بهم من الأئمة المهتدين واقتفى آثارهم من المتبعين، واجتهد في سلوك سبيل المتقين، وكان مع الذين اتقوا والذين هم محسنون[1].

وقال حرب في مسائله عن الإمام أحمد : والدين إنما هو كتاب الله عز وجل وآثار وسنن وروايات صحاح عن الثقات بالأخبار الصحيحة القوية المعروفة، يصدق بعضها بعضا، حتى ينتهي ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم والتابعين، وتابعي التابعين، ومن بعدهم من الأئمة المعروفين المقتدى بهم، المتمسكين بالسنة، والمتعلقين بالآثار[2].

فهذا هو المنهج الحق الذي ارتضاه الله لعباده، وهو منهج أهل السنة والجماعة، منهج الطائفة المنصورة والفرقة الناجية، المنهج السلفي، وهو الدين الإسلامي الحنيف، والفطرة التي فطر الله عليها العباد، وهذا هو امتداده، ونشأته منذ آدم عليه السلام.

وإن من المسائل التي يهتم بها المنهج السلفي مسائل أربع، والتي خالف فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الجاهلية، وفيها حفظ الدين والدنيا، وهي :

الأولى : إخلاص الدين لله وحده لا شريك له، وهذا أصل الأصول وقاعدة الدين، وهذا هو المعترك بين الأنبياء و بين الأمم، فالأنبياء يريدون أن يصححوا هذا الأصل الذي خلق الله الخلق من أجله وربط سعادتهم به. وهذا الذي أمر الله عز وجل به عباده حيث قال ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ، أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ۚ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾[الزمر: ٢-٣] ، وقال تعالى ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾[البينة:٥] ، وهذه المسألة هي الدين كله ولأجلها تفرق الناس بين مسلم وكافر، وعندها وقعت العداوة، ولأجلها شرع الجهاد.

الثانية : الأمر بالاجتماع في الدين والنهي عن التفرق، قال تعالى ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾[آل عمران:١٠٣] وقال تعالى ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ۚ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[آل عمران:١٠٥] ، وقال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا

---

(1) شرح أصول أهل السنة اللالكائي (٩/١).

(2) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ص٣٩٦.

شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ۚ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾[الانعام:١٥٩] ، وقال تعالى ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ۖ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾[الشورى:١٣] .

الثالثة : الأمر بالسمع والطاعة لمن تأمر علينا ولو كان عبدا حبشيا، لأن فيه حفظ الدين والدنيا وحفظ الأعراض والأنفس والدماء، فولي الأمر المسلم جعله الله رحمة للمسلمين لإقامة الحدود، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونصرة المظلوم من الظالم، وحفظ الأمن، وهذا من رحمة الله عز وجل بعباده وتمام حكمته وعدله.

والصحابة لما توفي الرسول صلى الله عليه وسلم لم يدفنوه حتى بايعوا إمامهم، لأنهم يخشون من الاختلاف والفتنة، لأنهم يعرفون أنه لا يصلح أن يعيشوا ولا ليلة واحدة بدون إمام، لأن هذا من ضروريات الدين. ولا يمكن أن يكون هذا إلا بالسمع والطاعة لولي الأمر، ولهذا يقول جل وعلا ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾[النساء:٥٩] .

روى أبو داود والترمذي وغيرهما عن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال : وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة، وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون، فقلنا : يا رسول الله، كأنها موعظة مودع، فأوصنا، قال ((أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ))[(١)].

وهذه المسائل الثلاث يجمعها قوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ((إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا وَيَسْخَطُ لَكُمْ ثَلَاثًا يَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَأَنْ تَنَاصَحُوا مَنْ وَلَّاهُ اللَّهُ أَمْرَكُمْ))[(٢)].

والمسألة الرابعة، والتي هي من أصول الدين : أن دين الله من عقيدة وعبادة ومعاملات مبني على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وهو العلم الذي أمر الله به قبل القول والعمل، قال تعالى ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ﴾[محمد:١٩].

---

(١) أبو داود (ح/٤٦٠٧) والترمذي (ح/٢٦٧٦).

(٢) أخرجه مسلم (ح/١٧١٥).

فالمنهج السلفي قائم على العلم الشرعي المبني على كتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وما أجمع عليه سلف الأمة من الصحابة والتابعين وأتباعهم. وليس مبنيا على آراء الرجال ولا على الفكر ولا على مبادئ الفلسفة وعلم المنطق اليوناني وعلم الكلام ولا على تقليد الآباء كما يسلكه أهل الأهواء وأهل الأديان المخالفة، أو كما كان عليه أهل الجاهلية. ولهذا أمر الله بالرجوع إلى العلماء الربانيين، وبَيَّن منزلتهم. قال تعالى ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[الزمر: ٩] ، وقال تعالى ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾[فاطر: ٢٨] ، وقال تعالى ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[النساء: ٨٣] .

وقال البخاري رحمه الله تعالى في كتاب العلم : باب فضل العلم، وقول الله تعالى ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾[المجادلة:١١] ، وقوله عز وجل ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[طه:١١٤] ، قال ابن حجر رحمه الله تعالى عند شرحه لهذه الترجمة: قوله (وقوله عز وجل : رب زدني علما) واضح الدلالة في فضل العلم لأن الله تعالى لم يأمر نبيه صلى الله عليه وسلم بطلب الازدياد من شيء إلا من العلم. والمراد بالعلم : العلم الشرعي الذي يفيد ما يجب على المكلف من أمر دينه في عباداته ومعاملاته، والعلم بالله وصفاته وما يجب له من القيام بأمره وتنزيهه عن النقائص، ومدار ذلك على التفسير والحديث والفقه[1].

وقال البخاري رحمه الله تعالى أيضا في كتاب الاعتصام بالكتاب و السنة : باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : ((لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ)) وهم أهل العلم، ثم قال : حدثنا عبيدالله بن موسى عن إسماعيل عن قيس عن المغيرة بن شعبة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ((لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ))[2]. وقد جاء تفسير هذه الطائفة عن كثير من السلف بأنها أهل الحديث أهل العلم.

---

[1] فتح الباري (١/١٤٠).

[2] رواه البخاري (ح/٧٣١١).

قال الإمام أحمد رحمه الله : إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري من هم[1]. وأخرج أبو القاسم الأصبهاني في الحجة بسنده إلى أحمد بن سنان أنه قال عن قول النبي صلى الله عليه وسلم ((لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي)) الحديث، قال : هم أهل العلم أصحاب الآثار[2].

فالمقصود أن من أصول المنهج السلفي الارتباط بالعلم والعلماء، وأن هذا مما أوصى الله به، وأن فيه الخير والسعادة والنجاة من الفتن، فإن في ذهاب العلماء أو عدم الارتباط بهم ذهابا للعلم والدين، وإحلالا للجهل والفتن، ويتخذ الناس بعدهم رؤوسا جهالا يضلون ويضلون.

قال البخاري رحمه الله تعالى في كتاب العلم : باب كيف يقبض العلم؟ وكتب عمر بن عبدالعزيز إلى أبي بكر بن حزم : انظر ما كان من حديث رسول الله صلى عليه وسلم فاكتبه، فإني خفت دروس العلم وذهاب العلماء، ولا تقبل إلا حديث النبي صلى الله عليه وسلم ولتفشوا العلم، ولتجلسوا حتى يعلَّم من لا يعلم، فإن العلم لا يهلك حتى يكون سرا. ثم قال البخاري :

حدثنا إسماعيل بن أبي أويس قال حدثني مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن عبدالله بن عمرو بن العاص، قال : سمعت رسول الله صلى عليه وسلم يقول ((إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنْ النَّاسِ وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ فَإِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا))[3].

روى الدارمي بسنده إلى عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال : (كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا لَبِسَتْكُمْ فِتْنَةٌ يَهْرَمُ فِيهَا الْكَبِيرُ وَيَرْبُو فِيهَا الصَّغِيرُ وَيَتَّخِذُهَا النَّاسُ سُنَّةً فَإِذَا غُيِّرَتْ قَالُوا غُيِّرَتْ السُّنَّةُ قَالُوا وَمَتَى ذَلِكَ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ إِذَا كَثُرَتْ قُرَّاؤُكُمْ وَقَلَّتْ فُقَهَاؤُكُمْ وَكَثُرَتْ أُمَرَاؤُكُمْ وَقَلَّتْ أُمَنَاؤُكُمْ وَالْتُمِسَتْ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الْآخِرَةِ)[4].

---

[1] أخرجه الحاكم في معرفة علوم الحديث والخطيب البغدادي. انظر الفتح (١٣/٢٩٣).

[2] الحجة في بيان المحجة (١/٢٤٦).

[3] رواه البخاري (ح/١٠٠).

[4] سنن الدارمي (١/٦٤) ورواه البيهقي في المدخل ص٤٥٣.

وروى البيهقي بسنده إلى عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال : (عباد الله، تدرون كيف ينقص الإسلام من الناس؟ قالوا : نعم، كما ينقص سمن الدابة، وكما ينقص صبغ الثوب، وكما يقسو الدرهم لطول الجيب، فقال (هذا منه، ولكن أكثر من ذلك ذهاب العلماء يكون في الحي العالمان، فيموت أحدهما فيذهب بنصف علمهم، ويكون في الحي العالم فيموت فيذهب بعلمهم، وبذهاب العلماء يذهب العلم)[1].

فهذا الأصل -وهو العلم- أصل عظيم، وإنما أطلت في ذكره لأنه أساس الدين، وينشأ عنه العمل، وهو ركيزة المنهج السلفي ولبه.

فالمنهج السلفي منهج رباني، يقتفي الكتاب والسنة، ويوافق الفطرة والعقل، وهو المنهج الذي ارتضاه الله لعباده لإصلاح دينهم ودنياهم، ولا صلاح للعباد إلا به، كما روى ابن عبد البر في التمهيد بسنده إلى أشهب عن مالك قال : كان وهب بن كيسان يقعد إلينا ولا يقوم أبدا حتى يقول لنا : اعلموا أنه لا يصلح آخر هذا الأمر إلا ما أصلح أوله. قلت : يريد ماذا؟ قال : يريد في بادىء الإسلام، أو قال : يريد التقوى[2].

---

[1] المدخل إلى سنن الكبرى للبيهقي ص٤٥٤.

[2] التمهيد لابن عبد البر (٣٣٢/٨).

الفصل الثاني : مراحل المنهج السلفي

قد يكون الكلام حول هذا العنصر لا ينطبق على المنهج السلفي من حيث هو كمنهج، لأن المنهج السلفي منهج رباني قد أكمله الله ببعثة الرسول صلى الله عليه وسلم، وما مات صلى الله عليه وسلم إلا وقد أكمل الله به الدين، كما قال تعالى ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾[المائدة: ٣] .

فالمنهج السلفي ليس فكرة من وضع البشر، تتطور مع تطور التفكير والتجديد، كسائر الأفكار والعقائد التي هي من وضع البشر، فتمر على مراحل، مرحلة تأسيس، ثم مرحلة انتشار، ثم مرحلة تطوير... إلخ.

إن المنهج السلفي منهج رباني، كامل بكمال الدين، لا يحتاج إلى زيادة أو إلى تطوير، ولا حاجة له في الأخذ من الأديان الأخرى، أو إلى الثقافات الأجنبية من فلسفة اليونان أو علم الكلام والمنطق.

فقد روى ابن أبي عاصم في كتاب السنة عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم علينا فقال : ((وَايْمُ اللَّهِ لأَتْرُكَنَّكُمْ عَلَى مِثْلِ الْبَيْضَاءِ))[1]. وروى أيضا عن جابر بن عبدالله أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم بكتاب أصابه من بعض الكتب، قال : فغضب، فقال ((أَمُتَهَوِّكُونَ فِيهَا يَا ابْنَ الْخَطَّابِ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً))[2].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : ومن علم أن المتكلمين من المتفلسفة وغيرهم هم في الغالب في (قول مختلف، يؤفك عنه من أفك) يعلم الذكي منهم العاقل أنه ليس هو فيما يقول على بصيرة، وأن حجته ليست ببيّنة ، وإنما هي كما قيل فيها:

حجج تهافت كالزجاج تخالها   حقا وكل كاسر مكسور

---

[1] السنة لابن أبي عاصم ص٣٦.

[2] السنة لابن أبي عاصم ص٢٧.

ويعلم العليم البصير أنهم من وجه مستحقون ما قاله الشافعي رضي الله عنه حيث قال : حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال، ويطاف بهم في القبائل والعشائر، ويقال : هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام[(١)].

وإنما يصدق هذا الكلام - أعني مراحل المنهج السلفي – من حيث التوضيح والبيان والانتشار والقوة وأسباب وعوامل ذلك. ومن حيث مراحل تدوين العقيدة السلفية، لا من حيث ذات المنهج السلفي، لأنه منهج رباني كامل كما أسلفنا.

فلهذا فإنني سأتكلم – إن شاء الله تعالى – في هذا العنصر على مرحلتين تعد من أهم مراحل المنهج السلفي، وهما :

المرحلة الأولى : مرحلة تبيين وتوضيح قواعد الدين وأساسياته.

المرحلة الثانية : مرحلة تدوين المنهج السلفي.

فالمرحلة الأولى : وهي عهد السلف الصالح، أهل القرون الأولى. وهذه المرحلة تعد مقياسا يوزن به الناس والجماعات والفرق، ويعرف به الحق من الباطل، ويفهم الدين بفهمهم، حيث إن الله تعالى قد زكاهم، وأوجب اتباع ما أجمعوا عليه، قال الله تعالى ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾[النساء: ١١٥]. ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم ((عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ بَعْدِي تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ))[(٢)].

قال الإمام الخليفة أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز رحمه الله : سن رسول الله صلى الله عليه وسلم وولاة الأمر من بعده سننا، الأخذ بها تصديق لكتاب الله، واستكمال لطاعة الله، وقوة على دين الله، ليس لأحد تغييرها، ولا تبديلها ولا النظر في شيء خالفها، من عمل بها مهتد، ومن انتصر بها منصور، ومن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولّى، وأصلاه جهنم وساءت مصيرا[(٣)].

وقال الإمام البخاري رحمه الله تعالى : حدثنا إسحاق حدثنا النضر أخبرنا شعبة عن أبي جمرة سمعت زهدم بن مضرب قال سمعت عمران بن حصين رضي الله عنه يقول، قال رسول الله صلى الله عليه

---

(١) الفتوى الحموية ص٢٤٨.

(٢) تقدم تخريجه ص٧.

(٣) الشريعة للآجري ص٤٨.

وسلم : ((خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ)) قَالَ عِمْرَانُ فَلَا أَدْرِي أَذَكَرَ بَعْدَ قَرْنِهِ قَرْنَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا ثُمَّ إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ وَيَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمَنُونَ وَيَنْذُرُونَ وَلَا يَفُونَ وَيَظْهَرُ فِيهِمْ السِّمَنُ))(1).

فهذا الحديث إخبار من النبي صلى الله عليه وسلم بحال الأمة، يتضمن توجيها وتأصيلا، وهو أن الدين يفهم بفهم أهل القرون الأولى المفضلة، وذلك لأنهم خير الأمة، فهم أعلم الناس بدين الله، وهم أغير الناس على دين الله، وهم أفقه قلوبا، وأقرب إلى عهد النبوة، بالإضافة إلى أنهم أعلم الناس بلسان العرب ومراد الشارع، كل ذلك يلزم منه أن الحق ما كانوا عليه، وأن الخير والفوز في اتباعهم، والشر والضلال في اجتناب ما كانوا عليه(2).

يقول الإمام اللالكائي رحمه الله تعالى : الحمد لله الذي أكمل لهذه الطائفة سهام الإسلام، وشرّفهم بجوامع هذه الأقسام، وميزهم من جميع الأنام، حيث أعزهم الله بدينه، ورفعهم بكتابه، وأعلى ذكرهم بسنته، وهداهم إلى طريقته، طريقة رسوله صلى الله عليه وسلم، فهي الطائفة المنصورة، والفرقة الناجية، والعصبة الهادية، والجماعة العادلة المتمسكة بالسنة، والتي لا تريد لرسول الله صلى الله عليه وسلم بديلا، ولا عن قوله تبديلا، ولا عن سنته تحويلا، ولا يثنيهم عنها تقلب الأعصار والزمان، ولا يلويهم عن سمتها تغير الحدثان، ولا يصرفهم عن سمتها ابتداع من كاد الإسلام ليصد عن سبيل الله ويبغيها عوجا، ويصرف عن طرقها جدلا ولجاجا، ظنا منه كاذبا، وتخمينا باطلا أنه يطفئ نور الله، والله متم نوره ولو كره الكافرون(3).

ويقول أبو عثمان الصابوني في عقيدة أصحاب الحديث : ويعتقدون بالنبي صلى الله عليه وسلم وبأصحابه الذين هم كالنجوم بأيهم اقتدوا اهتدوا، كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول فيهم، ويعتقدون بالسلف الصالح من أئمة الدين وعلماء المسلمين، ويتمسكون بما كانوا به متمسكين من الدين والحق المبين(4).

ويقول محمد بن الحسين الآجري رحمه الله : علامة من أراد الله عز وجل به خيرا سلوك هذا الطريق، كتاب الله عز وجل وسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسنن أصحابه رضي الله عنهم، ومن تبعهم بإحسان – رحمة الله تعالى عليهم – وما كان عليه أئمة المسلمين في كل بلد إلى آخر ما كان من

---

(1) رواه البخاري (ح/٣٦٥٠).
(2) سل السيوف والأسنة ص٤٤.
(3) شرح اعتقاد أهل السنة (٢٢/١).
(4) عقيدة أصحاب الحديث ص٩٩.

العلماء، مثل : الأوزاعي، وسفيان الثوري، ومالك بن أنس، والشافعي، وأحمد بن حنبل، والقاسم بن سلام، ومن كان على مثل طريقهم، ومجانبة كل مذهب لا يذهب إليه هؤلاء العلماء[١].

يقول شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله تعالى : وهكذا إذا تدبر المؤمن العليم سائر مقالات الفلاسفة وغيرهم من الأمم التي فيها ضلال وكفر، وجد القرآن والسنة كاشفين لأحوالهم، مبينين لحقهم، مميزين بين حق ذلك وباطله، والصحابة كانوا أعلم الخلق بذلك، كما كانوا أقوم الخلق بجهاد المنافقين، كما قال فيهم عبدالله بن مسعود : من كان منكم مستنا فليستن بمن قد مات، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد، كانوا أبر هذه الأمة قلوبا، وأعمقهم علما، وأقلهم تكلفا، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه، وإقامة دينه، فاعرفوا لهم حقهم، وتمسكوا بهديهم، فإنهم كانوا على الهدي المستقيم. فأخبر عنهم بكمال بر القلوب مع كمال عمق العلم، وهذا قليل في المتأخرين – إلى أن قال شيخ الإسلام – فدل الكتاب والسنة على أن الله يؤتي أتباع هذا الرسول من فضله ما لم يؤته لأهل الكتابين قبلهم. ثم قال : ومن المعلوم أن أهل الحديث و السنة أخص بالرسول وأتباعه، فلهم من فضل الله وتخصيصه إياهم بالعلم والحلم وتضعيف الأجر ما ليس لغيرهم، كما قال بعض السلف : أهل السنة في الإسلام كأهل الإسلام في الملل[٢].

وقال أيضا شيخ الإسلام : ثم من طريقة أهل السنة والجماعة اتباع آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم باطنا وظاهرا، واتباع سبيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، واتباع وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال ((عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة)). ويعلمون أن أصدق الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، ويؤثرون كلام الله على غيره من كلام أخيار الناس، ويقدمون هدي محمد صلى الله عليه وسلم على هدي كل أحد، ولهذا سموا أهل الكتاب والسنة، وسموا أهل الجماعة، لأن الجماعة هي الاجتماع وضدها الفرقة، وإن كان لفظ الجماعة قد صار اسما لنفس القوم المجتمعين، والإجماع وهو الأصل الثالث الذي يعتمد عليه في العلم والدين، وهم يزنون بهذه الأصول الثلاثة جميع ما عليه الناس من أعمال وأفعال باطنة أو ظاهرة مما له تعلق بالدين. والإجماع الذي ينضبط هو ما كان عليه السلف الصالح، وبعدهم كثر الاختلاف، وانتشرت الأمة[٣].

---

[١] الشريعة للآجري ص١٤.

[٢] الفتاوى (٤/١٣٧-١٤٠).

[٣] الواسطية بشرح الشيخ عبدالعزيز الرشيد ص٣١٥-٣٢٥.

كما أن هذه المرحلة شهدت ظهور الفرق المخالفة لأهل السنة، والتي أخبر عنها النبي صلى الله عليه وسلم. فتعامل السلف مع هذه الفرق مستنيرين بالقرآن والسنة، مما يعد معرفة هذا التعامل سبيلا يقتدى به للتعامل مع كل مخالف ومبتدع.

قال الإمام البخاري رحمه الله تعالى في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة : باب قول النبي صلى الله عليه وسلم ((لتتبعن سنن من كان قبلكم)) ثم أورد بسنده إلى أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ((لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَأْخُذَ أُمَّتِي بِأَخْذِ الْقُرُونِ قَبْلَهَا شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ)) فَقِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ كَفَارِسَ وَالرُّومِ ؟ قَالَ : وَمَنِ النَّاسُ إِلَّا أُولَئِكَ))[١].

قال ابن بطال : أعلم صلى الله عليه وسلم أن أمته ستتبع المحدثات من الأمور والبدع والأهواء، كما وقع للأمم قبلها[٢].

وروى ابن أبي عاصم في السنة – وصححه الألباني – بسنده إلى عوف بن مالك الأشجعي قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((افْتَرَقَتْ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً ، وَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ وَسَبْعُينَ فِيالنَّارِ، وَافْتَرَقَتْ النَّصَارَى عَلَى أثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، فَإِحْدَى وَسَبْعُينَ فِي النَّارِ وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَالَّذِي نَفْسي بِيَدِهِ لَتَفْتَرِقَنَّ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، فَواحِدَةٌ فِي الْجَنَّة وأَثِنْتين وَسَبْعُينَ فِي النَّارِ)) قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ هُمْ؟ قَالَ ((هم الْجَمَاعَةُ))[٣]. ولقد وقع ما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم من ظهور الفرق والبدع، وإنما كان ظهورها بحسب خفائها، فكلما كانت البدعة أخفى كان ظهورها أسبق.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله تعالى : والبدعة كلما كانت أظهر مخالفة للرسول يتأخر ظهورها، وإنما يحدث أولا ما كان أخفى للكتاب والسنة[٤] ، ويقول أيضا : وكان ظهور البدع والنفاق بحسب البعد عن السنن والإيمان، وكلما كانت البدع أشد تأخر ظهورها، وكلما كانت أخف كانت إلى الحدوث أقرب، فلهذا حدث أولا بدعة الخوارج والشيعة، ثم بدعة القدرية، والمرجئة، وكان آخر ما حدث بدعة الجهمية[٥].

---

[١] رواه البخاري (ح/٧٣١٩).
[٢] فتح الباري (٣٠١/١٣).
[٣] رواه ابن ماجة (٤٧٩/٢) وابن أبي عاصم في "السنة" (٦٣) واللالكائي في "شرح السنة" (١/٢٣/١) وصححه الألباني في الصحيحة (٤٨٠/٣).
[٤] الرد على الأخنائي ص٢١٣.
[٥] الأصبهانية (٥٨٩/٢-٥٩٠).

فالفرق وأصولها ظهرت في القرون الأولى :

فالخوارج والشيعة كانتا أول الفرق ظهورا، حيث ظهروا في أواخر عصر الخلفاء الراشدين، أي ما يقارب سنة سبع وثلاثين.

ثم المعتزلة، ظهرت في أواخر عصر الصحابة، أي ما يقارب سنة ثمانين.

ثم المرجئة، حيث قابلوا الخوارج والمعتزلة في آخر عصر صغار الصحابة، أي في أواخر المائة الأولى.

ثم الجهمية في النصف الأول من المائة الثانية، في أواخر الدولة الأموية، وهي قد انتهت في عام (١٣٢)، وتحديدا في أواخر عصر التابعين بعد موت عمر بن عبدالعزيز[١].

وكان للسلف دور بارز عظيم في التحذير من هذه الفرق والبدع، فالصحابة الذين شهدوا ظهور الخوارج والشيعة والقدرية تكلموا فيها وحذروا منها كابن عمر وابن عباس وواثلة بن الأسقع وغيرهم وكذا التابعون وأتباعهم وجميع أئمة السلف.

روى مسلم في صحيحه عن يحيى بن يعمر قال : كان أول من قال بالقدر بالبصرة معبد الجهني، فانطلقت أنا وحميد بن عبدالرحمن الحميري حاجين أو معتمرين فقلنا : لو لقينا أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر، فوفق لنا عبد الله بن عمر بن الخطاب داخلا المسجد، فاكتنفته أنا وصاحبي، أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله، فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إلي، فقلت : يا أبا عبدالرحمن، إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرأون القرآن ويتقفرون العلم، وذكر من شأنهم – وأنهم يزعمون أن لا قدر، وأن الأمر أنف – قال : إذا لقيت هؤلاء فأخبرهم أني بريء منهم، وأنهم براء مني، والذي يحلف به عبدالله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبا فأنفقه، ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر[٢].

فهذا الأثر يوضح موقف السلف من ظهور البدع ومحاربتها والتحذير من أهلها.

ويقول عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى : أصول البدعة أربعة : الروافض، والخوارج، والقدرية، والمرجئة[٣].

---

[١] نقلا عن مذكرة في الإرجاء جمعتها من محاضرات الدكتور عبدالقادر بن محمد عطا صوفي.

[٢] أخرجه مسلم (ح/١).

[٣] فتاوى ابن تيمية (٣/٣٥٠).

وذم السلف بدعة الإرجاء، فقد قال الزهري : ما ابتدعت في الإسلام بدعة أضر على أهله من الإرجاء[1].

وقال الأوزاعي : كان يحيى بن أبي كثير وقتادة يقولان : ليس شيء من الأهواء أخوف عندهم على الأمة من الإرجاء[2].

فالسلف الصالح كانوا يَحذرون من الأهواء كلها، صغيرها وكبيرها، ويُحَذِّرون غيرهم منها.

روى اللالكائي في أصول الاعتقاد بسنده إلى طاوس قال، قال رجل لابن عباس : الحمد لله الذي جعل هوانا على هواكم، فقال : كل هوى ضلالة.

وروى أيضا بسنده إلى ابن عمر قال : ما فرحت بشيء من الإسلام أشد فرحا بأن قلبي لم يدخله شيء من هذه الأهواء.

وروى أيضا بسنده إلى طاوس قال : ما ذكر الله هوى في القرآن إلا عابه.

وروى أيضا بسنده إلى الشعبي قال : إنما سميت الأهواء لأنها تهوي بصاحبها في النار. وبسنده إلى محمد بن سيرين أنه قال : لو خرج الدجال لرأيت أنه سيتبعه أهل الأهواء[3].

والأقوال في هذا عن السلف كثيرة توضح منهج السلف في تعاملهم مع البدع وأهلها، حفظاً للدين والعقيدة، وأمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر وتحذيراً من المحدثات، ممتثلين أمر النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال ((وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ))[4].

إذن نستطيع أن نقول أن هذه المرحلة مرحلة عظيمة في بيان وتوضيح المنهج السلفي لقواعد الدين وأساسياته المبنية على كتاب الله تعالى وسنة النبي صلى الله عليه وسلم، وأنها هي المرحلة الأساس في فهم الدين، وهي التي أوجب الله الرجوع إليها. وهي التي اصطفاها الله واختارها لنصرة نبيه ودينه والجهاد في سبيله، وجعلها ميزاناً لمعرفة الحق من الباطل والسنة من البدعة، والفرقة الناجية من الفرقة الهالك.

---

(١) الشريعة للآجري (٢/٦٧٧).

(٢) الشريعة للآجري (٢/٦٨٢).

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١/١٣٠).

(٤) تقدم تخريجه ص٧.

وأما المرحلة الثانية فهي مرحلة تدوين السنة وكتابة منهج السلف في العقيدة والتحذير من البدع حيث كانت هذه المرحلة في المائة الثالثة والمائة الرابعة. وهذه المؤلفات اتخذت مسلكين :

المسلك الأول : إيراد شبه أهل البدع والفرق المخالفة، والرد عليها وتفنيدها.

المسلك الثاني : بيان معتقد أهل السنة بالاستدلال من القرآن والسنة وآثار السلف.

ومن هذه المؤلفات :

١- "الرد على الزنادقة والجهمية" و "السنة" للإمام أحمد بن حنبل رحمه الله (ت ٢٤٠).

٢- "خلق أفعال العباد" و"الرد على الجهمية" للإمام محمد بن إسماعيل البخاري رحمه الله (ت ٢٥٦).

٣- "تأويل مختلف الحديث" و"الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية المشبهة" للإمام أبي محمد عبد الله بن قتيبة الدينوري رحمه الله (ت ٢٧٦).

٤- "الرد على الجهمية" للإمام عثمان بن سعيد الدارمي رحمه الله (ت ٢٨٠).

٥- "كتاب السنة" للإمام عمرو بن أبي عاصم الضحاك الشيباني (ت ٢٨٧).

٦- "كتاب السنة" للإمام عبد الله بن أحمد بن حنبل رحمه الله (ت ٢٩٠).

٧- "السنة" للإمام محمد بن نصر المروزي رحمه الله (ت ٢٩٤).

٨- "صريح السنة" للإمام أبي جعفر محمد بن جعفر الطبري رحمه الله تعالى (ت ٣١٠).

٩- "السنة" للإمام أحمد بن محمد الخلال رحمه الله (ت ٣١١).

١٠- "كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل" للإمام محمد بن إسحاق بن خزيمة رحمه الله تعالى (ت ٣١١).

١١- "شرح السنة" للإمام الحسن بن علي البربهاري رحمه الله تعالى (ت ٣٢٩).

١٢- "الشريعة" للإمام محمد بن الحسين الآجري رحمه الله تعالى (ت ٣٦٠).

١٣- "الإبانة عن الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة" للإمام عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري رحمه الله تعالى (ت ٣٨٧).

١٤- "كتاب التوحيد" و "كتاب الإيمان" و "كتاب الرد على الجهمية" للإمام محمد بن إسحاق بن يحي بن مندة رحمه الله تعالى (ت ٣٩٥).

١٥- "أصول السنة" للإمام محمد بن عبد الله الأندلسي الشهير بابن أبي زمنين رحمه الله تعالى (ت ٣٩٩).

١٦- "أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين من بعدهم" للإمام هبةالله بن الحسن بن منصور الطبري اللالكائي رحمه الله تعالى (ت٤١٨).

١٧- "عقيدة السلف أصحاب الحديث" للإمام إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني رحمه الله تعالى (ت ٤٩٩).

١٨- "الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة" للإمام أبي القاسم إسماعيل بن محمد التميمي الأصبهاني رحمه الله تعالى (ت ٥٣٥).

وغيرها كثير مما دونه السلف في بيان منهج السلف، وإنما أوردت أشهرها، وعلى سبيل الاختصار.

فهذه المرحلة مرحلة جمع النصوص الواردة من القرآن والسنة وتبويبها على أبواب السنة والاعتقاد وجمع آثار السلف التي يتناقلها الناس مشافهة ويروونها مسندة. فهي مرحلة حفظت لنا الدين وفهم السلف لنصوص الكتاب والسنة، وكيف سلك السلف في توضيح منهج السلف في حفظ العقيدة والرد على المخالفين.

فهاتان المرحلتان مرحلتان مهمتان من مراحل منهج السلف أرى أنهما من الأهمية بمكان التحدث عنهما، أما ما سوى ذلك فمنهج السلف منهج كامل أتمه الله برسالة محمد صلى الله عليه وسلم، وإنما علينا الاتباع، والله الموفق والهادي إلى سبيل الرشاد.

الفصل الثالث : استمداد المنهج السلفي

إن الله عز وجل جعل رسالة الإسلام وشريعة النبي صلى الله عليه وسلم خاتم الرسالات لتبقى إلى قيام الساعة، وحتى ينزل عيسى بن مريم عليه السلام فيحكم بالإسلام، ويقتل الخنزير ويكسر الصليب، ويضع الجزية.

والمنهج السلفي هو الإسلام والإسلام هو المنهج السلفي.

يقول الإمام البربهاري رحمه الله : اعلموا أن الإسلام هو السنة، والسنة هي الإسلام، ولا يقوم أحدهما إلا بالآخر[1]. فالحق الذي أنزله الله واحد لا يتعدد، والفرقة الناجية الباقية واحدة.

والمنهج السلفي هو منهج الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة الطائفة المنصورة إلى قيام الساعة. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله –في بيان طريقة أهل السنة– : وطريقتهم هو دين الإسلام الذي بعث الله به محمدا صلى الله عليه وسلم، لكن لما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة، وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال ((هُمْ مَنْ كَانَ على مِثلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي)) صار المتمسكون بالإسلام المحض الخالص عن الشوب هم أهل السنة والجماعة، وفيهم الصديقون والشهداء والصالحون، ومنهم أعلام الهدى ومصابيح الدجى، أولو المناقب المأثورة، والفضائل المذكورة، وفيهم الأبدال، وفيهم أئمة الدين الذين أجمع المسلمون على هدايتهم، وهم الطائفة المنصورة، قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم ((لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الحَقِ مَنْصُورة لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ ولَا مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ))[2].

فإذا كان ذلك كذلك، وأن المنهج السلفي في حقيقته هو الإسلام، فإن استمداده هو القرآن الكريم وسنة النبي صلى الله عليه وسلم وما كان عليه الخلفاء الراشدون، والصحابة المرضيون.

يقول الله عز وجل ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾[المائدة: ٣]. روى البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب و السنة عن طارق بن شهاب قال: قال رجل من اليهود لعمر : يا أمير المؤمنين لو أن علينا نزلت هذه الآية ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ

---

(١) شرح السنة للبربهاري ص٥٩.

(٢) الفتاوى (١٥٩/٣).

﴿عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾[المائدة: ٣] لاتخذنا ذلك اليوم عيدا، فقال عمر : إني لأعلم أي يوم نزلت هذه الآية، نزلت يوم عرفة في يوم جمعة[١].

ويقول الله عز وجل ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾[النساء: ١١٥]. قال الإمام الخليفة أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز رحمه الله : سن رسول الله صلى الله عليه وسلم وولاة الأمر من بعده سننا، الأخذ بها تصديق لكتاب الله، واستكمال لطاعة الله، وقوة على دين الله، ليس لأحد تغييرها، ولا تبديلها ولا النظر في شيء خالفها، من عمل بها مهتد، ومن انتصر بها منصور، ومن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولّى، وأصلاه جهنم وساءت مصيرا[٢].

ويقول الله عز وجل ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾[النساء: ٥٩].

روى البيهقي بسنده إلى ابن عباس في قوله (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) قال: يعني أهل الفقه والدين، وأهل طاعة الله الذين يعلمون الناس معاني دينهم، ويأمروهم بالمعروف، وينهون عن المنكر، فأوجب الله طاعتهم[٣].

وبسنده أيضا إلى مجاهد قال : أولو الفقه والعلم (فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله) قال : إلى كتاب الله، (والرسول) قال : إلى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قرأ ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾[النساء: ٨٣] [٤].

وقد أوردت في طيات هذا البحث من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والآثار السلفية ما يفيد أن هذا المنهج الرباني، المنهج السلفي إنما يستمد منهجه –عقيدة وعبادة ومعاملات وأخلاقا وسلوكا– من

---

(١) تقدم تخريجه ص٦.

(٢) تقدم تخريجه ص١٤.

(٣) المدخل إلى السنن الكبرى ص٢١٢.

(٤) المدخل إلى السنن الكبرى ص٢١٥.

كتاب الله وسنة نبيه وما كان عليه الخلفاء الراشدون والصحابة والتابعون، وما بينه علماء السنة الربانيون واستنبطوه من القرآن والسنة.

ولهذا الاستمداد آثاره العظيمة وثماره الجليلة، والتي لا تعد ولا تحصى من الخير العميم، والنفع الكبير للإسلام والمسلمين عموما، ولأهل السنة والجماعة خصوصا، وسأعرج على ثلاثة منها، هي من أجل هذه الثمار، مما يتبين من خلالها أعظم الآيات والدلائل على صدق هذا المنهج السلفي الرباني، وأنه هو الإسلام الحق وسبيل الفرقة الناجية.

الأولى منها : الوفاق والائتلاف.

يقول الإمام الحافظ قوام السنة أبو القاسم إسماعيل بن محمد الأصبهاني رحمه الله –مبينا استمداد أهل السنة والحديث طريقهم ومنهجهم وما أثر ذلك فيهم، ومبينا الفرق بين استمداد أهل السنة واستمداد غيرهم– :

و مما يدل على أن أهل الحديث هم على الحق : أنك لو طالعت جميع كتبهم المصنفة من أولهم إلى آخرهم قديمهم وحديثهم مع اختلاف بلدانهم وزمانهم، وتباعد ما بينهم في الديار، وسكون كل واحد منهم قطراً من الأقطار، وجدتهم في باب الاعتقاد على وتيرة واحدة، ونمط واحد، يجرون فيه على طريقة لا يحيدون عنها ولا يميلون فيها، قلوبهم في ذلك واحد، ونقلهم واحد، لا ترى بينهم اختلافا، ولا تفرقا في شيء ما وإن قل. بل لو جمعت جميع ما جرى على ألسنتهم ونقلوه عن سلفهم، وجدت كأنه جاء من قلب واحد، وجرى على لسان واحد، وهل على الحق دليل أبين من هذا؟!

قال تعالى : ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾[النساء: ٨٢] ، وقال تعالى : ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾[آل عمران: ١٠٣].

وأما إذا نظرت إلى أهل الأهواء والبدع رأيتهم متفرقين مختلفين أو شيعا وأحزابا، لا تكاد تجد اثنين منهم على طريقة واحدة في الاعتقاد، يبدع بعضهم بعضا، بل يرتقون إلى التكفير، يكفر الابن أباه والرجل أخاه، والجار جاره، تراهم أبدا في تنازع وتباغض واختلاف، تنقضي أعمارهم ولما تتفق كلماتهم ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾[الحشر: ١٤].

أو ما سمعت أن المعتزلة مع اجتماعهم في هذا اللقب يكفر البغداديون منهم البصريين، والبصريون منهم البغداديين، ويكفر أصحاب أبي علي الجبائي ابنه أبا هاشم، وأصحاب أبي هاشم يكفرون أباه أبا علي، وكذلك سائر رؤوسهم وأرباب المقالات منهم، إذا تدبرت أقوالهم رأيتهم متفرقين يكفر بعضهم

بعضا، ويتبرأ بعضهم من بعض، وكذلك الخوارج والروافض فيما بينهم وسائر المبتدعة بمثابتهم. وهل على الباطل دليل أظهر من هذا؟!

قال الله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾[الأنعام: ١٥٩].

وكان السبب في اتفاق أهل الحديث : أنهم أخذوا الدين من الكتاب والسنة، وطريق النقل فأورثهم الاتفاق والائتلاف، وأهل البدعة أخذوا الدين من المعقولات والآراء، فأورثهم الافتراق والاختلاف[1].

الثانية منها : العقل والعلم والفهم والصدق.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله –وهو يتكلم عن منزلة أئمة الهدى، ومنهم الإمام أحمد– : "كل من استقرأ أحوال العالم وجد المسلمين أحد وأسد عقلا، وأنهم ينالون في المدة اليسيرة من حقائق العلوم والأعمال أضعاف ما يناله غيرهم في قرون وأجيال، وكذلك أهل السنة والحديث تجدهم كذلك متمتعين. وذلك لأن اعتقاد الحق الثابت يقوي الإدراك ويصححه، قال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾[محمد: ١٧]. وقال : ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ، وَإِذًا لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ، وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾[النساء: ٦٦-٦٨] .

وهذا يعلم تارة بموارد النزاع بينهم وبين غيرهم، فلا تجد مسألة خولفوا فيها إلا وقد تبين أن الحق معهم. وتارة بإقرار مخالفيهم ورجوعهم إليهم دون رجوعهم إلى غيرهم، أو بشهادتهم على مخالفيهم بالضلال والجهل. وتارة بشهادة المؤمنين الذين هم شهداء الله في الأرض. وتارة بأن كل طائفة تعتصم بهم فيما خالفت فيه الأخرى، وتشهد بالضلال على كل من خالفها أعظم مما تشهد به عليهم.

فأما شهادة المؤمنين الذين هم شهداء الله في الأرض : فهذا أمر ظاهر معلوم بالحس والتواتر لكل من سمع كلام المسلمين، لا تجد في الأمة عظّم أحد تعظيما أعظم مما عظموا به، ولا تجد غيرهم يعظم إلا بقدر ما وافقهم فيه، كما لا ينقص إلا بقدر ما خالفهم.

حتى إنك تجد المخالفين لهم كلهم وقت الحقيقة يقر بذلك، كما قال الإمام أحمد : "آية ما بيننا وبينهم يوم الجنائز". فإن الحياة بسبب اشتراك الناس في المعاش يعظم الرجل طائفته، فأما وقت الموت فلابد

[1] الحجة في بيان المحجة للإصبهاني (٢/٢٢٤-٢٢٦) وانظر إلى مجموعة كتب ورسائل وفتاوى فضيلة الشيخ العلامة ربيع بن هادي المدخلي.

من الاعتراف بالحق من عموم الخلق. ولهذا لم يعرف في الإسلام مثل جنازته –أي الإمام أحمد– : مسح المتوكل موضع الصلاة عليه فوجد ألف ألف وستمائة، سوى من صلى في الخانات والبيوت وأسلم يومئذ من اليهود والنصارى عشرون ألفا. وهو إنما نبل عند الأمة باتباع الحديث والسنة.

وكذلك الشافعي، وإسحاق، وغيرهما، إنما نبلوا في الإسلام باتباع أهل الحديث والسنة. وكذلك مالك والأوزاعي، والثوري، وأبو حنيفة وغيرهم إنما نبلوا في عموم الأمة وقبل قولهم لما وافقوا فيه الحديث والسنة."[1]

ويقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى : كل أحد يعلم أن أهل الحديث أصدق الطوائف، كما قال ابن المبارك : وجدت ((الدين)) لأهل الحديث، و((الكلام)) للمعتزلة، و((الكذب)) للرافضة، و((الحيل)) لأهل الرأي و((سوء الرأي والتدبير)) لآل أبي فلان[2].

وقال ابن القيم أيضا : إن أعقل الخلق على الإطلاق الرسل، وأتباعهم بعدهم أعقل الأمم، وأهل الكتاب والشرائع الكبار أعقلهم، وأعقل هؤلاء المسلمون، وأعقل المسلمين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعون لهم بإحسان، وأهل السنة والحديث أعقل الأمة بعدهم على الإطلاق، والبرهان القاطع على هذا أنه قد ظهر على أيدي الرسل من العلم النافع والعمل الصالح ومصالح الدنيا والآخرة ما لم يظهر مثله ولا قريب منه ولا ماله البتة نسبة بوجه من الوجوه على أيدي غيرهم من العقلاء، ومن تدبر سيرتهم في أنفسهم، وفي خاصتهم، وفي العامة، وصبرهم وزهدهم في الدنيا، ورغبتهم في الله وما عنده، واشتمالهم من الأخلاق على أزكاها، ومن الشيم على أرضاها، وأنهم أصدق الخلق، وأبرهم قلوبا، وأزكاهم نفوسا، وأعظمهم أمانة، وأكرمهم عشرة، وأعفهم ضمائر، وأطهرهم سريرة، لم يشك أنهم أعقل خلق الله على الإطلاق، ولا ريب أن كل من كان إليهم أقرب، كان حظه من العقل أوفر والعلوم والأعمال والسيرة والدلائل على ذلك[3].

الثالثة منها : الاستمرار والبقاء. وسأسهب في الكلام حول هذه المسألة لسببين :

السبب الأول : أن هناك من يرى أن المنهج السلفي إنما هو مرحلة زمنية مؤقتة، بقيت لزمن يناسبها وانتهت.

---

[1] الفتاوى (١١/٤).
[2] مختصر الصواعق المرسلة (٣٥٩/٢).
[3] الصواعق المرسلة (١٥١٤/٤).

السبب الثاني : أن هناك من يرى أن المنهج السلفي إنما هو حزب كسائر الأحزاب، أو جماعة كسائر الجماعات المنتسبة للدعوة، وأنه لا خلاف عقدي بينها، إنما الخلاف بينها في الأولويات، وأنها كلها تهدف لخدمة الإسلام.

فأقول إن بقاء المنهج السلفي واستمراريته إلى قيام الساعة تدل عليه الأخبار الصحيحة الثابتة، والواقع الملموس المشاهد.

فأما الأدلة فهي :

١- روى ابن أبي عاصم في كتاب السنة بسنده إلى جابر بن عبدالله قال : ((كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَخطَّ خطًّا هَكَذَا أَمَامَهُ فَقَالَ هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَخطَّيْنِ عَنْ يَمِينِهِ وَخطَّيْنِ عَنْ شِمَالِهِ قَالَ هَذِهِ سَبِيلُ الشَّيْطَانِ ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ فِي الْخَطِّ الْأَسْوَدِ ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ، ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[الأنعام: ١٥٣]))[(١)]. فالخط المستقيم الذي رسمه النبي صلى الله عليه وسلم يدل على استمرارية وبقاء الطائفة الناجية الطائفة السلفية.

٢- ما رواه البخاري – في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق وهم أهل العلم – بسنده إلى المغيرة ابن شعبة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ((لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ))[(٢)]. وبسنده أيضا إلى معاوية بن إبي سفيان قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ((مَنْ يُرِدْ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَإِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَيُعْطِي اللَّهُ وَلَنْ يَزَالَ أَمْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِمُسْتَقِيمًا حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ أَوْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ))[(٣)]. وهذه الطائفة هم أهل العلم وأهل الحديث والسنة كما تقدم.

---

(١) السنة لابن أبي عاصم ص١٣ والحاكم في المستدرك (٢/٣١٨).

(٢) البخاري (ح/٧٣١١).

(٣) البخاري (ح/٧٣١٢).

٣- ما رواه مسلم في صحيحه عن جابر بن سمرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ((عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ لَنْ يَبْرَحَ هَذَا الدِّينُ قَائِمًا يُقَاتِلُ عَلَيْهِ عِصَابَةٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ))[١]. وروى أيضا من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ((لَا تَزَالُ عِصَابَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ قَاهِرِينَ لِعَدُوِّهِمْ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى تَأْتِيَهُمْ السَّاعَةُ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ))[٢]. والمراد بهذه العصابة أهل السنة الطائفة المنصورة أتباع المنهج السلفي والباقية المستمرة حتى تكون آخرها تلك التي تكون مع عيسى عليه السلام، والمراد بأمر الله أي هبوب تلك الريح التي تأخذ روح كل مؤمن ومسلم بعد عيسى عليه السلام.

٤- ما رواه ابن ماجه وأحمد عن أبي عنبة الخولاني، وكان قد صلى القبلتين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ((لَا يَزَالُ اللَّهُ يَغْرِسُ فِي هَذَا الدِّينِ غَرْسًا يَسْتَعْمِلُهُمْ فِي طَاعَتِهِ))[٣].

٥- ما رواه أبو داود والحاكم في المستدرك عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ((إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍمَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا))[٤].

٦- ما رواه الخطيب البغدادي في شرف أصحاب الحديث من حديث إبراهيم بن عبدالرحمن العذري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((يَحْمِلُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلَفٍ عُدُولُهُ ، يَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الْغَالِينَ ، وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ ، وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ))[٥].

٧- الإخبار بنزول عيسى بن مريم عليه السلام، فيقود هذه الطائفة المنصورة حاكما بشريعة النبي صلى الله عليه وسلم. فقد روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَكَمًا مُقْسِطًا فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ وَيَقْتُلَ الْخِنْزِيرَ وَيَضَعَ الْجِزْيَةَ وَيَفِيضُ الْمَالُ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ))[٦]. وفي رواية ((وَاللَّهِ لَيَنْزِلَنَّ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَادِلًا فَلَيَكْسِرَنَّ الصَّلِيبَ وَلَيَقْتُلَنَّ الْخِنْزِيرَ وَلَيَضَعَنَّ الْجِزْيَةَ وَلَتُتْرَكَنَّ الْقِلَاصُ فَلَا يُسْعَى عَلَيْهَا وَلَتَذْهَبَنَّ الشَّحْنَاءُ وَالتَّبَاغُضُ

---

[١] مسلم (ح/١٩٢٢).
[٢] مسلم (ح/١٩٢٤).
[٣] ابن ماجه (ح/٨) وأحمد (ح/١٨٢٦١).
[٤] أبو داود (ح/٤٢٩١) والحاكم (٤/٥٢٢).
[٥] شرف أصحاب الحديث (٢/٣٥) وانظر مشكاة المصابيح للتبريزي (١/٨٢) وكلام الألباني على هذا الحديث.
[٦] مسلم (ح/١٥٥).

وَالتَّحَاسُدُ وَلَيَدْعُوَنَّ إِلَى الْمَالِ فَلَا يَقْبَلُهُ أَحَدٌ)). وفي رواية ((كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ؟)).

وروى أيضا من طريق جابر بن عبد الله قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ((لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ قَالَ فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ تَعَالَ صَلِّ لَنَا فَيَقُولُ لَا إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أُمَرَاءُ تَكْرِمَةَ اللَّهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ))[1].

وروى أيضا من حديث النواس بن سمعان قال : ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال ذات غداة – إلى أن قال بعد أن ذكره وفتنته – فبينما هم كذلك إذ بعث الله عيسى بن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق – إلى أن قال – ((ثُمَّ يَأْتِي عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ قَوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمُ اللَّهُ مِنْهُ فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ وَيُحَدِّثُهُمْ بِدَرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَوْحَى اللَّهُ إِلَى عِيسَى إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي لَا يَدَانِ لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ فَحَرِّزْ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ. وَيَبْعَثُ اللَّهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلَى بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَرَّةً مَاءٌ. وَيُحْصَرُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لِأَحَدِهِمْ خَيْرًا مِنْ مِائَةِ دِينَارٍ لِأَحَدِكُمُ الْيَوْمَ فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ –أي إلى الله– فَيُرْسِلُ اللَّهُ عَلَيْهِمُ النَّغَفَ فِي رِقَابِهِمْ –أي الدود– فَيُصْبِحُونَ فَرْسَى كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ –أي قتلى– ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى الْأَرْضِ فَلَا يَجِدُونَ فِي الْأَرْضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلَّا مَلَأَهُ زَهَمُهُمْ وَنَتْنُهُمْ فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى اللَّهِ فَيُرْسِلُ اللَّهُ طَيْرًا كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ مَطَرًا لَا يَكُنُّ مِنْهُ بَيْتُ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ فَيَغْسِلُ الْأَرْضَ حَتَّى يَتْرُكَهَا كَالزَّلَفَةِ ثُمَّ يُقَالُ لِلْأَرْضِ : أَنْبِتِي ثَمَرَتَكِ وَرُدِّي بَرَكَتَكِ. فَيَوْمَئِذٍ تَأْكُلُ الْعِصَابَةُ مِنَ الرُّمَّانَةِ وَيَسْتَظِلُّونَ بِقِحْفِهَا وَيُبَارَكُ فِي الرِّسْلِ حَتَّى أَنَّ اللِّقْحَةَ مِنَ الْإِبِلِ لَتَكْفِي الْفِئَامَ مِنَ النَّاسِ وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْبَقَرِ لَتَكْفِي الْقَبِيلَةَ مِنَ النَّاسِ وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْغَنَمِ لَتَكْفِي الْفَخِذَ مِنَ النَّاسِ فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ رِيحًا طَيِّبَةً فَتَأْخُذُهُمْ تَحْتَ آبَاطِهِمْ فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَكُلِّ مُسْلِمٍ وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ يَتَهَارَجُونَ فِيهَا تَهَارُجَ الْحُمُرِ فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ))[2]. وهذا من أقوى الأدلة على استمرارية الطائفة المنصورة القائمة على المنهج السلفي إلى قيام الساعة.

---

[1] مسلم (ح/١٥٦).

[2] مسلم (ح/٢١٣٧).

فهذه أخبار صحيحة ثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم يجب الإيمان بها وتصديقها واعتقاد ما تتضمنه من الخبر ببقاء هذه الطائفة المنصورة والفرقة الناجية القائمة بدين الله. وهذا من رحمة الله تعالى بعباده، وتمام حكمته وعدله وأنه لا يترك عباده هملا.

وأما من حيث الواقع الملموس، فإن وجود أئمة الدين وعلماء الأمة ومن على نهجهم منذ عهد الصحابة رضوان الله عليهم مرورا بعهد التابعين ثم أتباعهم إلى جميع قرون الإسلام إلى يومنا هذا، والذي لا يخلو زمان منهم، لمن أكبر الأدلة والبراهين على استمرار المنهج السلفي وبقائه.

يقول الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى في مقدمة رسالته الرد على الجهمية والزنادقة : الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم، يدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، يحيون بكتاب الله الموتى، ويبصرون بنور الله أهل العمى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من ضال تائه قد هدوه، فما أحسن أثرهم على الناس، وأقبح أثر الناس عليهم، ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين الذين عقدوا ألوية البدعة وأطلقوا عنان الفتنة[(١)].

ولو سبرنا التاريخ، ونظرنا إلى كتب الرجال والطبقات، لرأينا ذلك تحقيقا، فما من زمن إلا وجعل الله فيه من يقوم بدين الله وعقيدة أهل السنة من الذابين عن السنة وسبيل سلف الأمة، وعلى رأس هؤلاء أهل الحديث وأصحاب المنهج السلفي من العلماء الربانيين من كل زمان، الذين هم الطائفة المنصورة. ولهذا فإن الله جعلهم شهوده على الخلق يوم القيامة.

روى البخاري عن أبي سعيد الخدري قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((يُجَاءُ بِنُوحٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُقَالُ لَهُ هَلْ بَلَّغْتَ فَيَقُولُ نَعَمْ يَا رَبِّ فَتُسْأَلُ أُمَّتُهُ هَلْ بَلَّغَكُمْ فَيَقُولُونَ مَا جَاءَنَا مِنْ نَذِيرٍ فَيَقُولُ مَنْ شُهُودُكَ فَيَقُولُ مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ فَيُجَاءُ بِكُمْ فَتَشْهَدُونَ ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[البقرة: ١٤٣]. قال ابن حجر رحمه الله : والوسط العدل –إلى أن قال– لأن أهل الجهل ليسوا عدولاً، وكذلك أهل البدع، فعرف أن المراد بالوصف المذكور : أهل السنة والجماعة، وهم أهل العلم الشرعي[(٢)].

يقول الإمام أبو عبد الله ابن بطة العكبري في الإبانة تعليقا على حديث: ((بدا الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء)) قال : جعلنا الله وإياكم بكتاب الله عاملين، وبسنة نبينا محمد

---

(١) مقدمة الرد على الزنادقة والجهمية ص١٧٠ بتحقيق دغش العجمي.فتح الباري (٣١٦/١٣).

(٢) فتح الباري (٣١٦/١٣).

صلى الله عليه وسلم متمسكين، وللأئمة والخلفاء الراشدين المهديين متبعين، ولآثار سلفنا وعلمائنا مقتفين، وبهدي شيوخنا الصالحين رحمة الله عليهم أجمعين مهتدين، فإن الله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه جعل في كل زمان فترة من الرسل، ودروسا للأثر، بم هو تعالى بلطفه بعباده ورفقه بأهل عنايته ومن سبقت له الرحمة في كتابه لا يخلي كل زمان من بقايا من أهل العلم وحملة الحجة، يدعون من ضل إلى الهدى، ويذودونهم عن الردى، ويصبرون منهم على الأذى، ويحيون بكتاب الله الموتى، ويبصرون بعون الله أهل العمى، وبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الجهالة والغبا[1].

ويقول الإمام أبو القاسم هبة الله بن الحسن الطبري اللالكائي في أصحاب الحديث : فهم الذين تعهدت بنقلهم الشريعة، وانحفظت بهم أصول السنة، فوجبت لهم بذلك المنة على جميع الأمة، والدعوة لهم من الله بالمغفرة، فهم حملة علمه، ونقلة دينه، وسفرته بينه وبين أمته، وأمناؤه في تبليغ الوحي عنه، فحري أن يكونوا أولى الناس به في حياته ووفاته[2].

ويقول الإمام أبو عبد الله الحاكم النيسابوري في كتابه معرفة علوم الحديث – بعد أن ذكر حديث الطائفة المنصورة وتفسير الإمام أحمد لها بقوله : إن لم يكن هذه الطائفة المنصورة أصحاب الحديث فلا أدري من هم.– قال الحاكم : وفي مثل هذا قيل : من أمّر السنة في نفسه قولا وفعلا نطق بالحق، فلقد أحسن أحمد بن حنبل في تفسير هذا الخبر أن الطائفة المنصورة التي يرفع الخذلان عنهم إلى قيام الساعة هم أصحاب الحديث، ومن أحق بهذا التأويل من قوم سلكوا محجة الصالحين، واتبعوا آثار السلف من الماضين، ودمغوا أهل البدع من المخالفين بسنن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله أجمعين، من قوم آثروا قطع المفاوز والقفار على التنعم في الدمن والأوطار، وتنعموا بالبؤس في الأسفار مع مساكنة العلم والأخبار[3].

وقال الإمام أبو بكر الخطيب البغدادي رحمه الله تعالى في كتابه شرف أصحاب الحديث : وقد جعل الله أهله أركان الشريعة، وهجم بهم كل بدعة شنيعة، فهم أمناء الله في خليقته، والواسطة بين النبي وأمته، والمجتهدون في حفظ ملته، أنوارهم زاهرة، وفضائلهم سائرة، وآياتهم باهرة، ومذاهبهم ظاهرة، وحججهم قاهرة، وكل فئة تتحيز إلى هوى ترجع إليه وتستحسن رأيا تعكف عليه سوى أصحاب الحديث، فإن الكتاب عدتهم، والسنة حجتهم، والرسول فئتهم، وإليه نسبتهم، لا يعرجون على الأهواء، ولا يلتفتون

---

[1] الإبانة (١/١٩٧)، والحديث أخرجه مسلم (٢/١٧٦) والترمذي (٧/٢٨٨) وأحمد (١/١٨٤) وابن ماجه (ح/٣٩٨٨) والدارمي (٢/٣١١).

[2] شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١/٢٠).

[3] كتاب معرفة علوم الحديث للنيسابوري ص٢.

إلى الآراء، يقبل منهم ما رووا عن الرسول، وهم المأمونون عليه العدول، حفظة الدين وخزنته، وأوعية العلم وحملته[1].

إذن فالمنهج السلفي منهج باق إلى قيام الساعة، ولا يخلو زمان من وجوده، فالقرون الثلاثة كانت مليئة من أهل العلم وأئمة السنة، منهم الإمام أحمد بن حنبل الذي قمع به بدعة خلق القرآن ونصر به عقيدة أهل السنة، حتى أصبح يلقب بإمام أهل السنة والجماعة، بل تنسب عقيدة أهل السنة إليه، كما قال الإمام أبو الحسن الأشعري في بيان عقيدته : قولنا الذي نقول به، وديانتنا التي ندين بها، التمسك بكتاب ربنا عز وجل، وبسنة نبينا صلى الله عليه وسلم وما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون، وبما كان عليه أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل نضر الله وجهه ورفع درجته وأجزل مثوبته قائلون، ولمن خالف قوله مجانبون، لأنه الإمام الفاضل، والرئيس الكامل، الذي أبان الله به الحق، ودفع به الضلال، وأوضح به المنهاج، وقمع به بدع المبتدعين، وزيغ الزائغين، وشك الشاكين، فرحمة الله عليه من إمام مقدم، وجليل معظم، وكبير مضخم، وعلى جميع أئمة المسلمين[2].

ثم ما زال يتتابع علماء السنة وأئمة الحديث قرنا بعد قرن حتى جاء زمن شيخ الإسلام المجدد ناصر السنة وقامع البدعة أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني في القرن السابع وبداية الثامن، حيث نصر الله به السنة، ووضح العقيدة، وخاصة باب الأسماء والصفات، ورد على جميع الفرق المخالفة من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة والقدرية والفلاسفة وأهل المنطق والرافضة وأهل التصوف والحلول الاتحاد، في مؤلفات كثيرة، ورسائل عديدة، وفتاوى سديدة.

ثم تتابع تلاميذه على هذا وتلاميذ تلاميذه، كابن القيم الجوزية، وابن عبدالهادي وابن كثير وابن رجب وابن مفلح وغيرهم، ولا زال منهج السلف محفوظاً بوجود أئمة الدين وعلماء السنة حتى جاء القرن الثاني عشر حيث قيض الله لهذه الأمة شيخ الإسلام ومفتي الأنام، مجدد دعوة التوحيد والسنة العلامة محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى، الذي جدد الله به التوحيد وقمع به الشرك، وأثمر الله بدعوته دولة تقيم التوحيد وترفع السنة وتحكم بالشريعة، وتقيم العدل، ولا زالت على ذلك، يتفيأ ظلالها المسلمون، حتى أصبحت بيضة الإسلام، ودولة التوحيد والإيمان، وحامية الحرمين. ثم ما زال على هذا أبناؤه وتلاميذه وأحفاده كالمجدد الثاني الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب وغيره من أهل العلم، واستمر ظهور العلماء حفظة الدين والسنة كالشيخ محمد بن إبراهيم ثم تلميذه الشيخ الإمام عبدالعزيز بن

---

[1] شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي ص٤٨.

[2] الإبانة عن أصول الديانة لأبي الحسن الأشعري ص٢٥.

عبدالله بن باز والشيخ عبدالله بن حميد والشيخ الإمام المحدث محمد ناصرالدين الألباني، والشيخ محمد بن صالح العثيمين، ومن سار على نهجهم إلى يومنا هذا من علماء ربانيين سائرين على هذا المنهج السلفي.

وهذا مصداق ما ذكرنا من استمرارية هذا المنهج الرباني وبقائه كما رسم سبيله نبينا محمد صلى الله عليه وسلم خطّا مستقيما لا انقطاع فيه ولا اعوجاج إلى قيام الساعة.

الفصل الرابع : خصائص المنهج السلفي

إن المنهج السلفي أو الدعوة السلفية دعوة رحمة، وإنقاذ للبشرية من ظلمات الجاهلية بجميع أنواعها إلى نور الحياة واستقامتها في جميع مجالات الحياة، وذلك لأنه منهج رباني –كما سبق – مبني على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. والله عز وجل قد قال عن وحيه وكتابه الذي أنزله على نبيه صلى الله عليه وسلم : ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾[الاسراء: ٩] ، يقول العلامة السعدي رحمه الله تعالى : يخبر تعالى عن شرف القرآن وجلالته وأنه يهدي للتي هي أقوم، أي أعدل وأعلى من العقائد والأعمال والأخلاق، فمن اهتدى بما يدعو إليه القرآن كان أكمل الناس وأقومهم، وأهداهم في جميع الأمور[١].

ويقول الإمام الشنقيطي رحمه الله عن هذه الآية : ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أن هذا القرآن العظيم الذي هو أعظم الكتب السماوية، وأجمعها لجميع العلوم، وآخرها عهدا برب العالمين جل وعلا يهدي للتي هي أقوم، أي الطريقة التي هي أسد وأعدل وأصوب – إلى أن قال – وهذه الآية الكريمة أجمل الله جل وعلا فيها جميع ما في القرآن من الهدى إلى خير الطرق وأعدلها وأصوبها، فلو تتبعنا تفصيلها على وجه الكمال لأتينا على جميع القرآن العظيم لجميع ما فيه من الهدى إلى خير الدنيا والآخرة[٢].

والله عز وجل قد أثنى على نبيه الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، قال تعالى ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[التوبة: ١٢٨]. وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم حاله وشفقته لأمته، وحرصه على إنقاذهم. فقد روى البخاري من حديث أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ((إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ مَا بَعَثَنِيَ اللَّهُ بِهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْمَهُ فَقَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي رَأَيْتُ الْجَيْشَ بِعَيْنَيَّ وَإِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْعُرْيَانُ فَالنَّجَاءَفَأَطَاعَهُ طَائِفَةٌ مِنْ قَوْمِهِ فَأَدْلَجُوا فَانْطَلَقُوا عَلَى مُهْلَتِهِمْ وَكَذَّبَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ فَأَصْبَحُوا مَكَانَهُمْ فَصَبَّحَهُمُ الْجَيْشُ فَأَهْلَكَهُمْ وَاجْتَاحَهُمْ فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ أَطَاعَنِي وَاتَّبَعَ مَا جِئْتُ بِهِ وَمَثَلُ مَنْ عَصَانِي وَكَذَّبَ مَا جِئْتُ بِهِ مِنَ الْحَقِّ))[٣].

---

[١] تفسير السعدي ص٤٠٦.

[٢] أضواء البيان (٣٧٢/٣).

[٣] رواه البخاري (ح/٧٢٨٣).

وروى البخاري أيضا من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ((إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعْجَبُونَ لَهُ وَيَقُولُونَ هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ قَالَ فَأَنَا اللَّبِنَةُ وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ))[1].

ولهذا فإن المنهج السلفي قد جمع خصائص كثيرة، ومزايا عظيمة، وذلك لكمال الإسلام من كل جانب من جوانب الدين والدنيا. وأنه دين رحمة وعدل، فلا يحتاج إلى زيادة أو تكميل في عقائده وشرائعه.

قال الشاطبي رحمه الله : وثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يمت حتى أتى ببيان جميع ما يحتاج إليه في أمر الدين والدنيا، وهذا لا مخالف عليه من أهل السنة، فإذا كان كذلك فالمبتدع إنما محصول قوله –بلسان حاله أو مقاله– أن الشريعة لم تتم، وأنه بقي منها أشياء يجب أو يستحب استدراكها. لأنه لو كان معتقدا لكمالها وتمامها من كل وجه لم يبتدع ولا استدرك عليها، وقائل هذا ضال عن الصراط المستقيم. قال ابن الماجشون : سمعت مالكا يقول : من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمدا خان الرسالة، لأن الله يقول ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾[المائدة: ٣][2].

وسأورد – إن شاء الله تعالى – بعضا من هذه الخصائص للمنهج السلفي مع بعض التعليق على كل خاصية، مقتصرا على أهمها وأبرزها.

فالأولى منها : الدعوة إلى التوحيد وتحقيق الإخلاص لله عز وجل، وهذا من أعظم خصائص المنهج السلفي والذي تميز به عن غيره من المناهج ومسالك الفرق الأخرى. فالله عز وجل ما خلق الخلق إلا لتحقيق ذلك، وما أرسل الرسل عليهم السلام من نوح عليه السلام إلى محمد صلى الله عليه وسلم إلا لدعوة الناس إليه، وما أوجد الجنة والنار إلا جزاء لمن وحد أو أشرك، وما حصل النزاع بين المرسلين وأممهم إلا بسببه، وهو الذي بدأ به الرسول صلى الله عليه وسلم قومه في مكة، واستمر عليه حتى الممات في المدينة، وكان يرسل أصحابه إلى الأمصار ويوصيهم أول ما يبدأون به دعوة الناس إلى تحقيق الشهادتين، كما حصل مع أبي موسى الأشعري ومعاذ بن جبل لما أرسلهما إلى اليمن. وهذه الخاصية للمنهج السلفي إنما هي ناتجة عن المفهوم الصحيح لكلمة التوحيد والتي هي لا معبود بحق إلا الله، وناتج عن المفهوم الصحيح لحقيقة الشرك الذي جاء التحذير منه، وهو الشرك في الألوهية والعبادة بعكس الفرق الأخرى، فكثير منهم يفسر كلمة التوحيد بأنها لا خالق إلا الله، وبعضهم يفسرها بلا حاكمية إلا لله، وكثير من

---

[1] رواه البخاري (ح/٣٥٣٥).

[2] الاعتصام للشاطبي ص٣٧.

الفرق أيضا ترى أن الشرك الذي نهى الله عنه هو الشرك في الربوبية[1]. ولهذا حصل منهم كثير من التساهل في الشرك في الألوهية والعبادة، بل بعض من مدعي العلم من الفرق المخالفة وقع في الشرك نتيجة هذا الفهم المخالف، وبالتالي تركوا أو تساهلوا في الدعوة إلى التوحيد.

الثانية : التجرد في الاتباع للنبي صلى الله عليه وسلم والرد عند التنازع إلى سنته بعد كتاب الله دون سواه من الخلق.

وهذا أيضا من أعظم ما يختص به المنهج السلفي. قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾[النساء: ٥٩] ، وقال تعالى ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[النساء: ٦٥] . يقول الحافظ أبو القاسم اللالكائي في وصف أهل الحديث المقدمين سنة الرسول صلى الله عليه وسلم والمتمسكين بها : ثم كل من اعتقد مذهبا، فإلى صاحب مقالته التي أحدثها ينتسب، وإلى رأيه يستند، إلا أصحاب الحديث، فإن صاحب مقالتهم رسول الله، فهم إليه ينتسبون، وإلى علمه يستندون، وبه يستدلون... فهي الطائفة المنصورة، والفرقة الناجية، والعصبة الهادية، والجماعة العادلة، المتمسكة بالسنة التي لا تريد برسول الله بديلا، ولا عن سنته تحويلا، ولا يثنيهم عنها تقلب الأعصار والزمان، ولا يلويهم عن سمتها تغير الحدثان، ولا يصرفهم عن سمتها ابتداع من كاد الإسلام ليصد عن سبيل الله ويبغيها عوجا، ويصرف عن طرقها جدلا ولجاجا، ظنا منه كاذبا، وتخمينا باطلا أنه يطفئ نور الله، والله متم نوره ولو كره الكافرون[2].

الثالثة : اقتفاء آثار السلف من الصحابة والتابعين وأتباعهم.

وذلك أن الله عز وجل أمر بذلك، قال تعالى ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾[النساء: ١١٥] .

---

[1] اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية (٢/٨٥٣) ومدارج السالكين (٣/٣٣٠).

[2] شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١/٢٠-٢٥).

والنبي صلى الله عليه وسلم وصى بذلك حيث قال ((فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورَ))[١].

يقول أبو حاتم محمد بن إدريس بن المنذر الحنظلي الرازي رحمه الله : مذهبنا واختيارنا : اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين من بعدهم بإحسان، والتمسك بمذهب أهل الأثر : مثل أبي عبدالله أحمد بن حنبل، وإسحاق بن إبراهيم، وأبي عبيد القاسم بن سلام، والشافعي، ولزوم الكتاب والسنة، والذب عن الأئمة المتبعة لآثار السلف، واختيار ما اختاره أهل السنة من الأئمة في الأمصار، مثل : مالك بن أنس في المدينة، والأوزاعي بالشام، والليث بن سعد بمصر، وسفيان الثوري وحماد بن زيد بالعراق...إلخ[٢].

فمنهج السلف جامع لكل خير من العلم والحلم والحكمة والرحمة، فلهذا فهو أسلم وأعلم وأحكم من كل ما سواه من المناهج والفرق.

يقول شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله : ومن المعلوم بالضرورة لمن تدبر الكتاب والسنة وما اتفق عليه أهل السنة والجماعة من جميع الطوائف: أن خير قرون هذه الأمة – في الأعمال والأقوال والاعتقاد وغيرها من كل فضيلة – أن خيرها القرن الأول، ثم الذين يلونهم، و أنهم أفضل من الخلف من كل فضيلة من علم وعمل وإيمان وعقل ودين وبيان وعبادة، وأنهم أولى بالبيان لكل مشكل، هذا لا يدفعه إلا من كابر المعلوم بالضرورة من دين الإسلام وأضله الله على علم[٣].

الرابعة : الثبات والرسوخ، فلا تؤثر فيه التغيرات السياسية أو الاجتماعية، لأن مبناه على العلم والوحي، والذي يثمر اليقين والثبات والقوة في أخذ الدين. قال تعالى ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[يوسف: ١٠٨] . والبصيرة العلم واليقين. وقال تعالى ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾[السجدة: ٢٤]. فهذا المنهج الرباني لا يؤثر فيه تغير الأزمان والأحوال، بل هو ثابت راسخ رسوخ الجبال.

الخامسة : الوسطية والاعتدال، فهو كما أسلفنا منهج رباني. فالمنهج السلفي هو الإسلام، لأنه منهج يعتمد على قال الله، قال رسوله، وليس على عقول الرجال وآرائهم، ولا على الأهواء والأذواق و لا

---

[١] تقدم تخريجه ص٧.

[٢] شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١/١٨٠).

[٣] مجموع الفتاوى (٤/١٥٧-١٥٨).

يأخذ الأحكام من العواطف والحماس، بل هو منهج حكيم، يتقيد بالنصوص الشرعية. قال الله تعالى ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾[البقرة: ١٤٣] ، أي عدلا خيارا. والواقع يشهد بذلك فما من فرقة سلكت مسلكا غير المنهج السلفي إلا وقعت في الإفراط أو التفريط، و في التساهل أو التشدد. أما منهج السلف فهو منهج وسط في كل باب من أبواب الدين، وهو منهج يساير الفطرة التي جبل الله الناس عليها.

السادسة : الشمولية، فهو منهج يربي على العقيدة الصحيحة، وعلى عبادة الله بإخلاص لله واتباع للرسول صلى الله عليه وسلم، وعلى معاملات مبنية على تحقيق المصالح ودرء المفاسد، منهج يسعى لإصلاح الدين والدنيا، وإصلاح الراعي والرعية، وإلى تنظيم العلاقة بين الحاكم والمحكوم بما يحقق حفظ الدين والأنفس والأعراض والأموال والعقول، التي هي الضروريات الخمس.

السابعة : أنه منهج قائم على تحقيق الولاء والبراء، وعلى الحب في الله والبغض في الله، على مقتضى العقيدة، وهذه الخاصية هي نتيجة التحاكم إلى القرآن والسنة، والاسترشاد بهما، والذي أثمر لأصحاب هذا المنهج تحقيقا صحيحا للولاء والبراء والحب البغض على مبدأ العقيدة لا على مبدأ الأحزاب والأهواء أو الآراء المنحرفة أو البدع المخالفة، أو على القومية العنصرية أو العصبية العرقية. قال الله تعالى ﴿أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ﴾[المجادلة: ٢٢] ، وقال صلى الله عليه وسلم ((أَوْثَقُ عُرَى الْإِيمَانِ الْحُبُّ فِي اللَّهِ وَالْبُغْضُ فِي اللَّهِ))[1].

الثامنة : أن هذا المنهج يكفل لأصحابه العز والتمكين والنصر، عاجلا أو آجلا، لأنه منهج يجمع مقومات النصر والعز والتمكين، من الإيمان الصادق والتوحيد الخالص والعمل الصالح واتباع سبيل من وعدهم الله بالنصر والظهور. قال الله تعالى ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ۚ﴾[النور: ٥٥]. وقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ۚ﴾[محمد: ٧].

---

[1] رواه أحمد (٤/١٨٦) وأبو داود الطيالسي (ح/٣٧٨) وابن أبي شيبة في الإيمان (ح/١٣٤) وحسنه الألباني بمجموع طرقه في السلسلة الصحيحة (٤/٣٠٧).

وتقدم معنا حديث الطائفة المنصورة وهم أهل الحديث وأهل العلم، والذين استحقوا النصر والظهور بسبب اتباعهم للحديث والعلم والذي يثمر عملا صالحا واعتقادا صحيحا واللذان هما سبب العز والتمكين.

التاسعة : من مزايا هذا المنهج النقد للمخالف بالضوابط الشرعية، حماية للدين والسنة والعقيدة. وذلك أن المتدبر لكتاب الله عز وجل وسنة النبي صلى الله عليه وسلم يجد أن الدين مبني على أصلين عظيمين، هما : التأصيل والتحذير، تأصيل الحق وبيانه، والتحذير من الباطل بكل أشكاله.

فالمنهج السلفي قائم على حفظ الدين والعقيدة، فلهذا لا يغتر بأعمال أهل البدع وزهدهم وتقفرهم للعلم، ولم يكن هذا مانعا من التحذير من مخالفاتهم وما هم عليه من الباطل.

يقول سماحة الإمام العلامة عبدالعزيز بن عبد الله ابن باز رحمه الله تعالى في معرض رده على محمد بن علي الصابوني في تأويله للصفات : ثم قال الصابوني في مقاله الخامس –هداه الله وألهمه التوفيق– ما نصه : ولكني أربأ بإخواني السلفيين أن يتحملوا في أعناقهم وزر تضليل الأمة، وتكفير أئمة المسلمين من أهل الفقه والحديث والتفسير، الذين هم على مذهب الأشاعرة، فماذا سنجني إن فرقنا صف المسلمين ونسبنا إلى الضلال شيخ الإسلام : ابن حجر العسقلاني، شارح البخاري. وذكر جماعة آخرين ثم قال : وكل هؤلاء الأئمة الأجلاء وغيرهم من مذهب الإمام الأشعري..إلخ.

والجواب أن يقال : ليس من أهل العلم السلفيين من يكفر هؤلاء الذين ذكرتهم، وإنما يوضحون أخطاءهم في تأويل الكثير من الصفات، ويوضحون أن ذلك خلاف مذهب سلف الأمة، وليس ذلك تكفيرا لهم، ولا تمزيقا لشمل الأمة، ولا تفريقا لصفهم، وإنما في ذلك النصح لله ولعباده، وبيان الحق، وعدم كتمانه، والقيام بالدعوة إلى الله، والإرشاد إلى سبيله.

ولو سكت أهل الحق عن بيانه لاستمر المخطئون على أخطائهم، وقلدهم غيرهم في ذلك، وباء الساكتون بإثم الكتمان الذي توعدهم الله في قوله سبحانه ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ ۙ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ، إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[آل عمران: ١٥٩-١٦٠] . وقد أخذ الله على علماء أهل الكتاب الميثاق لتبيينه للناس ولا تكتمونه، وذمهم على نبذه وراء ظهورهم، وحذرنا من اتباعهم.

فإذا سكت أهل السنة عن بيان أخطاء من خالف الكتاب والسنة شابهوا بذلك أهل الكتاب المغضوب عليهم والضالين[1].

فهذه بعض وأهم خصائص المنهج السلفي، والتي يتبين من خلالها عظم هذا المنهج وأنه المنهج الذي يسعد البشرية، ويتكفل لمن اتبعه بالهدى وعدم الضلال، وبالفلاح وعدم الشقاء، مصداقا لقوله تعالى ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾[طه: ١٢٣] .

قال حبر الأمة وترجمان القرآن عبدالله بن عباس رضي الله تعالى عنهما : أجار الله تابع القرآن من أن يضل في الدنيا أو يشقى في الآخرة، ثم قرأ ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾[طه: ١٢٣] ، قال : لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة[2].

---

[1] مجموع فتاوى ومقالات متنوعة للشيخ عبدالعزيز بن باز (٣/٧٢).

[2] تفسير ابن كثير (٣/٣٣).

الفصل الخامس :

براءة المنهج السلفي من بعض مدعيه وهم ليسوا منه

إن الدين إيمان وعمل، إيمان صادق راسخ لا شك فيه، وعمل موافق للكتاب والسنة يصدق هذا الإيمان ويدل عليه. وكل ذلك الغاية الشرعية منه تحقيق الإخلاص لله عز وجل وابتغاء الدار الآخرة، كما قال تعالى ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾[الأنعام: ١٦٢-١٦٣] ، وعلى هذا فليس كل من ادعى الدين، أو ادعى السنة تكون دعواه مقبولة ما لم توافق دعواه ظاهراً وباطناً كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم. وكل دعوى لا توافق الحق المبين فسترد على صاحبها عاجلاً أو آجلاً.

فمن تمسك بظاهر الأمر دون باطنه فيكشف الله أمره عندما تبلى السرائر، قال الله تعالى ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ، يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾[البقرة: ٨-٩] ، والعباد مأمورون بمعاملته على ظاهره، وتوكيل باطنه وسريرته إلى علّام الغيوب.

ومن خالف عمله السنة فعمله مردود عليه، ولا يغتر بجهاده واجتهاده، ولا بظاهره ودعواه، وهذا بحر لا ساحل له أعمالاً وأفراداً، والعبرة بما كان على السنة لا بكثرة العمل أو كثرة الأتباع، أو ببهرجة الدعاوى وزخرفة القول، يقول الله تعالى ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾[الكهف: ١١٠] ، والعمل الصالح هو ما كان صواباً على السنة خالصاً لله. ويقول النبي صلى الله عليه وسلم : ((مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ))، وفي رواية ((مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ)).[1]

فمن ادعى الإسلام وهو يخالفه باطناً وظاهراً فدعواه مردودة عليه، ومن ادعى السنة وهو يخالفها إحداثاً وابتداعاً باطناً وظاهراً فدعواه مردودة عليه، ونحذر منه ونبرأ من بدعه ومحدثاته.

ومن ادعى انتماءً ومسماً لأهل السنة والجماعة، وهو يخالف سبيلها الذي وضحه النبي صلى الله عليه وسلم مما كان عليه هو وأصحابه، من اعتقادٍ وتلقٍّ وعملٍ فدعواه مردودة.

---

[1] رواه البخاري (ح/٢٦٩٧) ومسلم (ح/١٧١٨)، والرواية الأولى إنما رواها الإمام مسلم في نفس الرقم دون الإمام البخاري، وكلها من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

ومن ادعى أنه من أهل الحديث وهو يخالف سبيل أهل الحديث ومعتقدهم ومنهجهم، من تكفير وخروج على ولي الأمر ومخالفة لمنهج السلف في معاملة الحكام، فدعواه مردودة عليه. ولو تكثَّر بالإجازات والأسانيد فليس ذلك بنافعٍ لهم أو مصححٍ لدعواهم أو مزكٍّ لمنهجهم.

ومن ادعى السلفية، وطريقته ومسلكه ومنهجه يخالف ما كان عليه السلف، فدعواه مردودة عليه، والسلفية بريئة منه كبراءة الذئب من دم يوسف.

والدعاوى ما لم يقيموا عليها بَيِّناتٍ أصحابها أدعياء

والله عز وجل جعل على صحة الانتماء للمنهج الحق دليلاً واضحاً وبرهاناً صادقاً، وهو اتباع سبيل الرسول صلى الله عليه وسلم، وسبيل الخلفاء الراشدين وسلف هذه الأمة. فقد قال الله عز وجل : ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[يوسف: ١٠٨] ، وهذا السبيل بيّنت السنةُ مجملَه، كما مرَّ معنا من أحاديث وآثار في طيات هذه الرسالة.

يقول شيخنا العلامة صالح الفوزان حفظه الله تعالى :

"ليس كل من ادعى السلفية يكون سلفياً، فقد ادعاها قوم جهال لا يعرفون منهج السلف، وادعاها قوم مخربون ينتحلون منهج الخوارج في سفك الدماء والإفساد في الأرض، وادعاها قوم متعالمون لم يأخذوا العلم عن العلماء، وإنما أخذوه من الكتب والمطالعات والاعتماد على حفظ النصوص مجرداً عن الفهم، والله سبحانه قال ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ﴾[التوبة: ١٠٠] ، أي بإتقان، ولا يكون ذلك إلا بالعلم والعمل بمنهجهم."[1]

وإن ضرر هؤلاء المدعين للسلفية ضرر كبير على الدين والسنة، فقد ألبسوا الدين من البدع والأهواء باسم السلفية ما ليس منه، والسلفية بريئة منه، وصرفوا كثيراً من الشباب والعامة إلى كثير من المخالفات الشرعية باسم السلفية، والسلفية بريئة منه، ونفَّروا كثيراً من المسلمين عن المنهج السلفي بتصرفاتهم البدعية وحركاتهم الجهادية التكفيرية لما تكلموا باسم السلفية، وخرجوا للناس بزي المتنسك بالسلفية، والسلفية بريئة من فكرهم وحركاتهم.

---

[1] كتبه الشيخ حفظه الله تعالى تعليقاً على هذه الرسالة، وهو عندي بخط يده جزاه الله خيراً.

فهؤلاء شرهم للإسلام وأهله أشد من شر أعدائه عليه، فإنهم يفسدون على الإسلام والمسلمين من الداخل، وذلك أشد خطراً من العدو الخارجي.

يقول ابن الجوزي في كتاب الموضوعات : قال أبو الوفاء علي بن عقيل الفقيه : قال شيخنا أبو الفضل الهمداني : مبتدعة الإسلام والواضعون للأحاديث أشد من الملحدين، لأن الملحدين قصدوا إفساد الدين من خارج، وهؤلاء قصدوا إفساده من داخل، فهم كأهل بلد سعوا في إفساد أحواله، والملحدون كالحاضرين من خارج، فالدخلاء يفتحون الحصن، فهم شر على الإسلام من غير الملابسين له.[1]

---

[1] الموضوعات لابن الجوزي (١/٢١).

الخاتمة

إن من خلال بحثي لهذا الموضوع، ومن خلال سبر الأدلة المتعلقة به، وما كتبه أهل العلم في ذلك، فإن المرء ليزداد يقينا بالمنهج السلفي من عدة جوانب :

أولاً : أن المنهج السلفي منهج رباني، حيث إنه امتداد لدعوة الأنبياء والمرسلين في التوحيد والعقيدة، وامتداد لشريعة النبي صلى الله عليه وسلم.

ثانياً : أن المنهج السلفي هو سبيل الطائفة المنصورة الفرقة الناجية الموعودة بالنصر والظهور إلى قيام الساعة.

ثالثاً : أن استمداد المنهج السلفي إنما هو من الكتاب والسنة وما كان عليه السلف الصالح، وأنه نتيجة لذلك فإنه يثمر ثمارا عظيمة، منها :

١- الوفاق والائتلاف.

٢- العلم والعقل والصدق.

٣- الاستمرار والبقاء.

رابعاً : أن المنهج السلفي قد جمع خصائص عظيمة، ومزايا كثيرة، قل أن توجد في غيرها من المناهج، ولذا فإن المنهج السلفي هو المنهج الوحيد الذي يكفل للأمة العز والتمكين، ويكفل لها الأمن من كل جانب من جوانب الحياة تحقيقا لوعد الله الصادق ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾[الأنعام: ٨٢] ، ووعده عز وجل ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾[النور: ٥٥] ، وأنه هو المنهج الذي يضمن لها السعادة الدنيوية والأخروية بإذن الله مصداقا لقوله تعالى : ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[النحل: ٩٧].

ولأجل هذا فإنني أوصي بالآتي :

١- العمل على توضيح المنهج السلفي ونشره بجد في جميع أوساط الأمة.

٢- العمل على نشره في جميع المؤسسات التربوية، و تدريسه في جميع مراحل الدراسة الإعدادية والجامعية.

٣- استغلال وسائل الإعلام، من مكتوبة وصوتية ومقروءة، لنشر هذا المنهج السلفي الرباني.

٤- العمل على جمع كلمة طلاب العلم والدعاة ووحدتهم على هذا المنهج السلفي الذي جمع الله الأمة عليه وألف بين قلوبهم عليه.

٥- نشر المؤلفات التي تعني بتوضيح منهج السلف، وخاصة كتب السلف أصحاب القرون الأولى.

٦- نشر العلم الشرعي، والعمل على إيجاد علماء ربانيين، يحفظ الله بهم الدين، وينشر بهم السنة.

وهذا آخر المطاف في هذه الرسالة، سائلا الله عز وجل أن ينفع بها وأن يثبتنا على السنة وما كان عليه سلف الأمة، وأن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح، وأن يجعلنا هداة مهتدين، غير ضالين ولا مضلين.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وكتبه

عبدالله بن صلفيق القاسمي الظفيري

إمام وخطيب جامع معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما

والمدرس في المعهد العلمي

بمحافظة حفر الباطن

المراجع والمصادر

١- القرآن الكريم

٢- موسوعة الكتب الستة-بإشراف صالح آل الشيخ-دار السلام-الرياض-الطبعة الأولى ١٤٢٠.

٣- اقتضاء الصراط المستقيم لشيخ الإسلام ابن تيمية-ت:د.ناصر بن عبدالكريم العقل-مكتبة الرشد-الرياض-الطبعة الرابعة ١٤١٤.

٤- مدارج السالكين للإمام ابن القيم- توزيع دال الإفتاء.

٥- الإبانة عن أصول الديانة للإمام أبي الحسن الأشعري-مطبعة الجامعة الإسلامية-الطبعة الخامسة ١٤٠٩.

٦- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للإمام أبي القاسم اللالكائي-ت:أحمد الغامدي-دار طيبة-الطبعة الثامنة ١٤٢٣.

٧- مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية-طبع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف-المملكة العربية السعودية-١٤١٦.

٨- تفسير القرآن العظيم لابن كثير-دار السلام-الرياض-الطبعة الأولى ١٤٢١.

٩- مجموع فتاوى ومقالات متنوعة-للإمام ابن باز-مكتبة الملك فهد-الرياض-الطبعة الأولى ١٤٢٣.

١٠- فتح الباري شرح صحيح البخاري للإمام الحافظ ابن حجر-دار المعرفة-بيروت.

١١- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للعلامة عبدالرحمن السعدي-مؤسسة الرسالة-بيروت-الطبعة الأولى ١٤٢٠.

١٢- الاعتصام-للإمام الشاطبي-دار الكتب العلمية-بيروت-الطبعة الأولى ١٤٠٨.

١٣- الرد على الزنادقة والجهمية للإمام أحمد بن حنبل-ت:دغن العجمي-دار غراس-الكويت-الطبعة الأولى ١٤٢٦.

١٤- حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح للإمام ابن القيم-ت:حلمي أحمد السيد-مكتبة نزار مصطفى الباز-مكة المكرمة-١٤٢١.

١٥- الحجة في بيان المحجة لأبي القاسم الأصبهاني-ت:محمد بن محمود أبو رحيم-دار الراية-الرياض-الطبعة الأولى ١٤١١.

١٦- المدخل إلى سنن الكبرى-للإمام الحافظ البيهقي-ت:د.محمد ضياء الرحمن الأعظمي-دار الخلفاء للكتاب الإسلامي-الكويت.
١٧- معارج القبول للشيخ العلامة حافظ الحكمي-ت:محمد صبحي بن حسن حلاق-دار ابن الجوزي-السعودية-الطبعة السادسة ١٤٣٠.
١٨- الصواعق المرسلة للإمام ابن القيم-ت:د.علي بن محمد الدخيل الله-دار العاصمة-الرياض-الطبعة الأولى ١٤٠٨.
١٩- أهل الحديث هم الطائفة المنصورة للعلامة ربيع المدخلي-دار المنار-الرياض-الطبعة الثانية ١٤١٣.
٢٠- كتاب معرفة علوم الحديث للإمام أبي عبدالله الحاكم النيسابوري-المكتبة العلمية-المدينة المنورة-الطبعة الثانية ١٣٩٧.
٢١- سنن الدارمي للإمام الدارمي-دار الكتب العلمية-بيروت.
٢٢- التمهيد للإمام ابن عبدالبر-ت:عبدالرزاق المهدي-دار إحياء التراث العربي-بيروت-الطبعة الأولى ١٤٢٠.
٢٣- السنة لابن أبي عاصم-ت:باسم الجوابرة-دار الصميعي-السعودية-الطبعة الثانية ١٤٢٣.
٢٤- الفتوى الحموية لشيخ الإسلام ابن تيمية-ت:حمد التويجري-دار المنهاج-السعودية-الطبعة أولى ١٤٣٠.
٢٥- الشريعة لأبي بكر الآجري-ت:عصام موسى هادي-دار الدليل الأثرية-السعودية-الطبعة الأولى ١٤١٤.
٢٦- سل السيوف والأسنة على أهل الهوى وأدعياء السنة-دار سحاب السلفية-مصر-الطبعة الأولى ١٤٣٢.
٢٧- عقيدة السلف أصحاب الحديث لأبي عثمان الصابوني-ت:ناصر الجديع-دار العاصمة-السعودية-الطبعة الثانية ١٤١٩.
٢٨- التنبيهات السنية على العقيدة الواسطية للشيخ عبد العزيز الرشيد-دار الرشيد-الرياض-الطبعة الثانية ١٤١٦.
٢٩- سلسلة الأحاديث الصحيحة للإمام المحدث الألباني-مكتبة المعارف-الرياض-طبعة ١٤١٥.
٣٠- الرد على الأخنائي لشيخ الإسلام ابن تيمية-ت:أحمد بن مونس العنزي-دار الخراز-جدة-الطبعة الأولى ١٤٢٠.

٣١- شرح الأصبهانية لشيخ الإسلام ابن تيمية-د.محمد بن عودة السعوي-دار المنهاج-الرياض-الطبعة الأولى ١٤٣٠.
٣٢- شرح السنة للإمام أبي محمد البربهاري-ت:خالد الردادي-دار السلف-الطبعة الثالثة ١٤٢١.
٣٣- محاضرات في المرجئة والإرجاء ألقاها الشيخ د.عبدالقادر عطا صوفي جمعها عبدالله صلفيق الظفيري.
٣٤- مجموعة كتب ورسائل وفتاوى للشيخ ربيع بن هادي المدخلي-دار الإمام أحمد-القاهرة-الطبعة الأولى ١٤٣١.
٣٥- مختصر الصواعق المرسلة للإمام ابن القيم-ت:سيد إبراهيم-دار الحديث-القاهرة-الطبعة الأولى ١٤١٢.
٣٦- أضواء البيان للإمام محمد الأمين المختار الشينقيطي-مكتبة ابن تيمية-القاهرة-١٤٠٨.
٣٧- مسند الإمام أحمد-مكتب الإسلامي-بيروت-الطبعة الخامسة ١٤٠٥.
٣٨- حكم الانتماء للشيخ بكر عبدالله أبو زيد-الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية-الطبعة الأولى ١٤١٠.
٣٩- شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي.
٤٠- الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة. لابن بطة العكبري-ت:رضا بن نعسان معطي-دار الراية-الرياض-الطبعة الأولى ١٤٠٩.
٤١- مشكاة المصابيح للخطيب التبريزي-ت:العلامة الألباني-المكتب الإسلامي-بيروت-الطبعة الثالثة ١٤٠٥.
٤٢- موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف لخادم السنة أبي هاجر محمد السعيد زغلول-دار الكتب العلمية-بيروت ١٤٢٣.
٤٣- الموضوعات-ت:ابن الجوزي-المكتبة السلفية-المدينة المنورة-الطبعة الأولى ١٣٨٦.

فهرس الموضوعات